حسين عبد البصير

البحث عن خنوم

روايـــــة

أنت خنوم الأحـــد الوحيـــد الأوحـــــد
ومن عمله تخرج كل يوم ملاييـــن الكائنـات
أنت خنـــــوم ، التجلي المحســـوس للنسيم
المحاط بالأسرار ، الذي من عنفـه تتولـــــد
الرياح الأربع ، ويخرج كل منها مـن المكـان
الذي أختاره ، واحدة من الجنـوب ، وأخـري
من الشمال ، وغيرها كل يـوم ، من الشـرق
ومن الغرب*.

*** نص مصري قديم .**

ما قبل البداية

أين خنوم ؟؟؟ !!!

أين هو ، إننا نبحث عنه منذ زمن طويل . أين نجده فقد طالت غيبته وكلما طالت أشتاق القلب إلي رؤيته . إننا نحبه فكم كان عطوفاً علينا جميعاً . لم يقس علي أحد . بحثنا عنه في الألواح .. في الأوراق ... بحثنا عنه في كل شئ . وها نحن ، الآن ، نأتيك يابتاح [1] منف [2] العظيم ، عسي أن نجد عندك ما يدلنا عليه . أين أنت يا خنوم العزيز ؟؟

أحباؤك الحائرون

1- بتاح : معبود مدينة منف ، رب الفن والفنانين عند قدماء المصريين .

2- منف : ميت رهينة ، مركز البدرشين ، محافظة الجيزة.

1

فـي البــدء منـــف

رخــت

1

نغبشة العصفور في جوف الظلام أقلقت مرقدي . أمل الليالي ينجلي عن فجر فتي ، لـه طعم الحب ، ودفء العشق ، ولذة الاحتضان .

*****

الفجر وعالمه الثري يلوح في الأفق .

*****

منف الوجهة .

أترك أتريب [1] مخلفة ورائي كل شئ ، عالماً يمتزج فيه الحب بالمتعة بالثورة . منف الأمل .

لا تبعد عنا كثيراً ، الآن ، يستيقظ رخ.

نذهب إلي بتاح في معبده . بعد أن كلت النفس وفشل المسعى في البحث عنه في الشمال .

*****

الشمس ترسل دفئها الحاني إلي وحدي.

*****

أجلس علي حافة المركب ، وسط المركب يجلس أبني رخ بشبابه اليافع وقلبه الغض ، النوتي يمارس عمله في منتهى النشاط والحيوية.

*****

في الدلتا مولدي.

الدلتا المثلثة ، لها طبيعة خاصة ، تنعقد عليها آمال كبار في تحقيق النجاة.

*****

علي مقدمة المركب ، واقفة ، أتطلع إلي الأفق .

*****

- أريد مقابلة الحكيم في أمر هام ، يتوقف عليه مستقبل البلاد.
- غير مسموح بذلك.
- لماذا؟!
- هذه أوامر ؟.

1- أتريب : مدينة بنها ، محافظة القليوبية.

- لا تجعلني أعرضك للعقاب .

اقتحمت الباب ودخلت .

صاح الحارس :

- إلي أين أنت ذاهبة ؟!

جري خلفي يمنعني .

لا. لآ . أريد مقابلته . وهممت بضربه.

*****

رخت أنت جميلة .

رخت أنت قويـــة.

هل هو يوم لك أم عليك؟

هل تقترب الدنيا من قدميك ، ثم تزهدينها ؟

اليوم يومك .

*****

كنت أسير في يد أبى . أتركه ، أحياناً ، وأذهب ابحث عن أي شئ .

*****

في البدء ، تكررت محاولاتي للخروج من البيت واستكشاف الطبيعة حولي علي أجد تفسيراً لهذا الكون الواسع ز تحيرت كثيراً ، لم أيئس . العالم مبهر ، تتناثر أجزاؤه بلا معني .... قد يبدو لها معني .

*****

في صغري تبدي لي العالم أكبر مما أتصور كون مذهل حقاً بكل ما فيه من عجائب وغرائب.

*****

شخص يسبح في فضاء لا نهائي . يصطدم بالحب والكراهية علي هيئة بشر.

*****

بيت أبي ، العالم الأول ، سبحت في معانية ، حفظت مسالكه وتكويناته .... من جدار لآخر ... من خدش لآخر ... من اصغر معلم لأكبره ... كل شئ .

*****

في بيت أبي كل خطوة لها معني .

*****

عطف أبي علي ، عوضني عن فقدان أمي . ماذا كان شكلها ؟ ماذا كان لونها ؟ هل كانت جميلة ، حلوة ، أم ماذا؟

ماتت ، وهي تلدني .

ماتت دون أن أراها.

ماتت وتركتني أصطلي بقسوة زوجة أبي .

*****

المعبد أول ما طالعت بعد بيت أبي . له صورة مقبضة ، تصغير لهذا الكون الكبير ! عالم غريب ، تحدث فيه الأعاجيب.

رجال منزوعو الشعور والنخوة ، قبيحو الوجوه ، ملابسهم تثير في نفسي الضيق والضجر.

*****

مباني المعبد ضخمة عالية، تثير في نفسي نوعاً من الخوف والرهبة والشعور بالدنو.

*****

صغيرة في هذا العالم ، أحاول فهمه، بينما عاجزة أنا عن فهم نفسي!!

*****

سألت أبي ذات مساء بهيج :

- الإنسان لا يعرف نفسه ، فكيف يطلب منه معرفة غيره ؟!

نظر إلي مندهشاً ز يبدو أنه أستكبر السؤال علي سني . ربت علي كتفي في حنو. ولم يجب .

*****

أسير في يده ، ذات صباح ، حنانه يغمرني ، الحنان الوحيد في عالم القسوة . المعبد يطل برأسه الكبير ز لم نسر طويلاً . ذهبت إليه أتلقى علومي الأولي . الدراسة قاسية . ملعون قساة لا يرحمون . تفوقي يشفع لي.

*****

في ليل له طعم الورد ، سألته عن أمي ، فتنهد ونظر إلي السماء ، وكمن تذكر حلماً جميلاً :

- كانت لي العالم بأكمله.

- كانت جميلة؟

- لم تكن هناك أجمل منها.

*****

قالت بغلظة :

- تنظيف البيت وتحضير الطعام أهم شئ ، أتفهمين؟

*****

الصباح ذو نور وضيء ، أشعة الشمس تتعانق مع قطرات الماء لتغزل أقبح قصيدة خيانة ، جالس علي مقدمة المركب ، رأسها علي صدره ، ضحكت ضحكة ماجنة ، وقفت .... رقصت ، أبتسم ثغرة ... أنشرح قلبه.
قيل لي كانت صديقة أمي ، فكيف حدث هذا ؟! كيف تزوجها ونسي أمي ؟! أمي ؟! أمي الحبيبة ، التي لم أرها يوماً !!

*****

حجرة الطعام مليئة بالأطباق الفارغة ، الأواني متناثرة في كل مكان ، أقف مذهولة ، كعادتي كل صباح ، أمام المشهد اليومي . الخادمة حمقاء . علي أن أفعل كل شئ بنفسي ... حتى لا أتعرض للعقاب .
خرجت إلي عمق البيت . انحنيت ألتقط مقعداً مقلوباً أعدله . رنت ضحكتها الخليعة في أذني تخرقها. أهكذا يفوت الوقت بسرعة ويأتي الحساب ؟! استدرت ناحية الباب ، دخلت تتأبط ذراعه. سألتني :
- الطعام جاهز؟
وقعت المقشة من يدي ، هزني صوتها ، أرتعش داخلي ، لم أستطع النطق ، لم تمهلني . صاحت في وجهي :
- يومك أسود ، طبعاً تلعبين!
نظرت إلي أبي . لم يتفوه . لم تهتز شفتيه . حاول إخفاء ضيقه حتى لا يشي به ، قدر استطاعته ، يعتصر الضعف وجهه . رغبة النطق تعبث به ، الخوف ألجمه.

*****

زوجة أبي متوحشة ، أخرج من البيت هرباً ، أبحث عن لا شئ .
خنوم لا يرضي بهذا الظلم ، أنه رحيم وقلبه كبير.

*****

سيد الرحمة ورب المغفرة . وصفه الكثيرون بأنه العادل الرحيم صاحب القلب الكبير . تعلقت به منذ الصغر. وكان دعائي يتوجه إليه ، وحده ، بالخلاص من ذل زوجة أبي وأن يرحمني من عذابي المتواصل ليل نهار ، جعلت الدنيا في عيني سوداء لا أنوار فيها ، والدنيا جميلة بالفعل ، لا يدرك قيمتها من تعود حلقة طعم المرارة طويلاً.

*****

إليه وحده يتوجه حبـــــي .
إلية وحده ترسل صلواتي .
له وحده يخفق قلبـــــــي.
أنه المنقذ ، أنه المخلص ن الوحيد القادر علي إنهاء مأساتي بوضع النقطة الأخيرة فوق كلمة النهاية ليسدل الستار عن أعظم مأساة وتنتهي الحكاية ، ويذهب المتفرجون إلي بيوتهم ، لينعموا بنوم هادئ ، وأنا كذلك ... أرتاح من هذا الحمل الثقيل.

ارتبطت به كثيراً ، وهربت من العقاب بسببه كثيراً ، كانت زوجة أبي تهم بضربي ، فأقول لها طلباً للنجـاة : { خنوم يرانا } . فتسقط من يدها العصا. مع أنها لا تؤمن به كثيراً أو بغيره !!

ألقيت بكثير من همومي وحمولي علية ، نسبت إلية أشياء لم يفعلها ، حتى أضمن في النهاية النجاة.

خنوم

ليس لي سواك .

حبيبتك رخـــت.

موقعة بالدم والدمع .

*****

الفصل فصل الفيضان.

النهر عن آخره ، الماء ملمسه مثير ، نسمات الهواء تداعب خدي بشقاوة وعذوبة ورقة ، الشمس تعزف أجمل لحن يتلاحم ضوءه الذهبي مع خيوط شعري السوداء السابحة بين الماء والهواء ز قطرات الماء تترقرق فوق خدي . افعلها متعمدة . تضحك الخادمة . تترك ملابسي من يديها . تسقط علي الأرض من الضحك . أنهرها تعود لرشدها . تقبض علي الملابس بحزم . وتجلس علي الشاطئ تنظر إلي عابسة في ضيق . أرقرق الماء فوق خدي . أعبث به بيدي ز لا تضحك . أناديها : { نفرت } لا تهتم . أكرر الرقرقة حتى لا تقدر علي إمساك نفسها فتضحك ضحكة صاخبة .

حياتي في النهر .

الماء ما أجمل ملمسه ز له مذاق ممتع .

{ نفرت ، راقبي الشاطئ جيداً }.

*****

الأفق ينفسح علي مشهد لا نهائي . تتعانق السماء مع النهر في وحدة شاعرية ، تجلو نفسي وتنير طريقي.

منف تبتلعني في دوامتها . مزدحمة بشكل غريب ، عامرة بالحياة ، تفيض بالحب ، ويتنسم ، بين طبقاتها العليا ، العشق في أبهي تجلياته ، ويفرخ أحلي ثمار القرب.

ليلة حب واحدة .

واحدة فقط.

قضيتها فيها، تركت في نفسي ما لا ينسي من روعة ولوعة.

*****

قادر علي كل شئ.

قادر علي أن ينير لي طريقي ، ويهديني إلي هدفي المنشود . بوابة المعبد تذكرني ، بالبدايات ، بداية كل شئ ، يبدأ أنيقاً جميلاً وينتهي إلي العدم . دخلت مع أبني رخ ، إلي ساحة الفناء المفتوح بلا حجاب . أخبرت برغبتي في مقابلة الحكيم .

خنوم

أين أنت ؟

هل من أمل؟

قادر علي كل شئ ، تعرف كل شئ ، حتى ما في نفسي وأن لم أبح به ، أقف أمامك عارية من كل شئ إلا من معرفتي أنني أمامك ، صاحب القدرة الخارقة علي المعرفة وكشف الغيب وهداية الطريق . بركاتك وهباتك لا تعد ولا تحصي ، فنحن فيض من فيض نعمتك.

خنوم !!

ارحمني ، هبني بركة من بركاتك أو نفحة من نفحاتك تصلني بك.

أين أنت ؟!

أتيت إلي الحكيم لأعرض علية مأساتي وأجد لها حلاً.

*****

رخ يصعد درجات منصة التتويج الدائرية بثبات . الكهنة فوقها متحلقون باسمون. يشير الكاهن الأكبر من فوق مقعده ، تعزف الموسيقي لحن التتويج . الناس مصطفون علي الجانبين يشهدون الحفل ، الفرحة تعلو وجوههم ، كيف لا يفرحون والفرح فرحي؟!

ترك الكاهن الأكبر مقعده ، تقدم باسم الإله ، يتوج رخ ، وضع فوق رأسه التاج ، تاج مصر العليا والسفلي ، تاج { كيمت تامري } *

الفرحة ينخلع لها قلبي ، الدنيا لا تسعني ، رخ سعيد ، في منتهى الفرحة ، أحس تأدية واجبي نحوه ، أظل بجانبه ، حتى يأمن أعداءه وينقي دولته.

تبادلت النظر معه طويلاً . أبتسم . ابتسمت . أقترب مني وجلس بجواري . فتي له قوة الجبال . يعجبني هذا النوع من الرجال . أحسست سخونة جسده تسري في نظراته تلهب أحشائي . يالك من وحش أليف أيها الرجل ، أريد به الثورة فأختار الحب عن كل شئ ، تعلقت به بشدة . وبعد نظرات مترددة بيني وبينه أفهمها جيداً .

---

* تعني : مصر الأرض المحبوبة.

قال لي مقدماً نفسه :

- حور .... أسمي حور من منديس * ..... أعمل مساعداً لكبير كهنتها وساعده الأيمن .

أيها الحور اللعين أين أنت من زمان ؟!!! أبحث عنك بين الرجال منذ زمن طويل !! ارحمني فصبري طال . وأوشكت نفسي علي الاستسلام . صدري يمور بالحب والعنف يملأ رأسي . أريدها ليلة غير عادية . ليلة أولها الهمس والملاطفة والمداعبة وأوسطها العنف وآخرها اللذة الأبدية والارتواء المطلق.

نفسي ظمأى . وقدراتك لا تقدر . تفيض وتزيد . ولن يقف في طريقها سد مهما طال ارتفاعه . ماء النهر لا يرحم . يأخذ في طريقه ما يعترض مجراه.

قلت مرحبة به :

- مرحباً .

ابتسمت وأردفت أقدم نفسي مثله :

- أسمي رخت من أتريب ... تعلمت الكهانة في الصغر واحترفت السحر في الكبر (وأشرت إلي رخ) وهذا أبني رخ...

قال متظاهراً بالدهشة :

- أبنك ! توقعت أنه أخوك الأصغر ..لا تبد عليك آثار الزواج أو متاعب الحمل والولادة .. (ونظر في عيني) أنت جميلة لم تدخل دنيا ..

ماذا تريد مني يا حور الجميل ؟ تحاول الانقضاض وبأقصى سرعة ؟ أفهم نبض نظراتك....

أنا وأنت علي خط عمل واحد . هنيئاً لنا سوياً .... يبدو أن الاكتمال والذوب في الآخر حتى الفناء قادمان لا محالة .... حور لا تعبث بقلبي الغض . ضعيف لا يتحمل وقع ضرباتك القاسية.

حور العشق أوله النظر ، وثانية الملامسة ، وآخره الاندماج والذوب . فهل أنت قادر علي المواصلة ؟ الطريق شاق ؟ تفترشه الورود والأشواك؟

قلت أداري خجلي :

- يالك من مجامل كبير !!!

نهشتني عيناه السوداوان البراقتان وهو يقول :

- إنها الحقيقة – شرف عظيم لي ، أن أري الكهانة والسحر مجسدين في أنثي .... وأنثي جميلة .

- منديس : بلدة في شرق الدلتا (أنظر هامش ص 35).

لن أقدر عليك يا حور الجميل . متمرس علي إيقاع النساء في شراكك العنكبوتية لماذا كل هذا ؟؟! أتريد أن تصل بسرعة ؟! منهياً آلاف السنين من الرغبة ؟! مغامر مجنون ! الجنون والمغامرة أروع ما فيك – اصبر حتى يتهيأ لنا الحال .... أري العطش في عينيك .... يقابله نفس القدر في نفسي وقلبي وصدري وفي ككل... الحب قادم لا محالة ، فأصبر حتى يأتي الميعاد ... حتى ينهمر المطر ، فيه الحب ينمو ويزدهر ، ويضمنا تحت جناحيه ، والعشق في ثناياه ، ونعرف معا لحن معرفتنا بقدرته علي إرواء الأرض الجدباء بماء الحياة وتطهيرها من الجوع والحرمان ... أصبر يا حور أصبر ... واصبري يا رخت ..... اصبري .....

تلعثم لساني وأنا أرد : -

- أشكر لحور حسن بيانه .... أنت كثير المجاملة .

- ماذا يصنع أبنك؟

ماذا حدث يا حور ؟!! هل ضايقك ردي ؟ لماذا انتقلت إلي محطة أخري دون أن تكمل الأولي ؟ من أجل ماذا ؟ انتقلت علي سبيل المناورة أو ضقت بأهلها؟

قلت بأسي حقيقي :

- لا يفعل شيئاً . حاولت تلقينه العلم في الصغر فلم يفلح ...

صاح متعجباً :

- غريب أمره حقاً ! أن ينبع الجهل من نبع العلم هذا المستحيل عينه!!

بل غريب أمرك يا حور ! ماذا حدث ؟! والمستحيل هو ما تفعل !!

أمنت علي قوله :

- قدر يا عزيزي حور ، ما أقسى قرارات القدر !

تساءل :

- أسمه ..... ؟

سريعاً نسيت أسمه ؟! إذن لن تذكرني لو فارقتك للحظة .... ما دمت في أحضانك تذكرني . ومتى فارقت دفء جسدي . أو إن مر أمامك شبح أخري نسيتني لتوك!!

بضيق واضح أجبت :

- رخ

متأملاً الاسم :

- رخ !! رخ !! ... اسم جميل ..

أسمه جميل كوجهك الجميل . قلبي يهفو إليك ز لا يقدر علي البعد . أذابه في نيرانك الحامية . أذقه نبض عذابك . امنحني الدفء في عز الشتاء .

متوددا :

- رخت ، هل أكون متطفلاً لو عرضت عليك مشكلتي ؟

مشكلة ؟! أهناك مشكلة إذن ؟ قل يا حور ولا تخف . سرك في بئر عميقة لا يصلها إلا المحترفون من الرجال.

قلت مرحبة :

- بكل سرور

مفصحاً عن نفسه :

- أنني لم أجئ إلي هنا إلا بعد أن فاض بي الكيل .

يبدو أنها مأساة حقيقة . سقطت علي كنز يا رخت . قل يا حور الجميل ولا تخف.

تظاهرت بالسذاجة :

- كيل ؟! أي كيل ؟

ألقي بحجر ضخم في بحيرة آسنة حين قال :

- ضقت ذرعاً بالبحث عنه ....

- أرتجف قلبي .

أستدرك :

- خنوم هذا مشكلة كبري .

خنوم !! المأساة واحدة . هل تتحد التجربة الإنسانية إلي هذا الحد ، أيصل الكمال مرة واحدة ودفعة واحدة . ودون أدني موارية ؟! الحظ يخدمك يا رخت ، ويدفع إلي طريقك الهدف ممزوجاً باللذة وشلالات المتعة ، أم يستخدمك ؟

تظاهرت بوقوع المفاجأة :

- خنوم !!

أستأنف :

- أجل خنوم . قلبي مشوق إليه ... أحبه بكل ذرة في كياني .. ولن أرضي عنه بديلاً .. أنني حبيبه وهو حبيبي. الحب . رحيق الحياة ، سلطان الوجود . أفضل شئ فيه . خنوم ز الوحدة وال\ريق . خنوم . الأمل والألم . خنوم . الحلم والمأساة . خنوم . الصحبة والرفيق .

استدرجته أكثر :

- أكمل يا حور فإنها تبدو مأساة حقيقة.

زافراً الألم من صدره :

- بحثت عنه في الشمال فلم أعثر له علي اثر .. أي أثر . ترك الشمال كله ورحل .أين هو ؟! لا أدري .

كلنا لا ندري . المهم من يدرك الوقت المناسب وينقض علي الفريسة ولا تملك حراكاً وتسلم بالنهاية . النهاية !! الحلم والحقيقة !!

غرقت في تفكير عميق . صحوت منه علي صوته يصيح :

- سيدتي رخت .. رخت .. أين أنت ؟!

أنت السيد ، الملهم ، أنت العازف وأنا القيثارة .. أتلوى بين أصابعك كما تشاء .. أكمل يا حور . أكمل ولا تخف . قلبي يحتضنك بين راحتيه . لا تخف . أقفز مهما تقفز . أنت بين يدي .

غمغمت :

- هه .. هه.. لا شئ.

حاول أن يعرف شيئاً :

- لا بل هناك شئ .. وشئ قوي ..

أجل شئ قوي .. ملأ الوجود سحره . خصوبتك الطاغية .

قلت كأني قوي أحلم :

- ذكرتني بواقع جميل كنت أعيش بين ظلاله.

سألني بأدب جم :

- هل من حقي أن أعرفه ؟

ستعرف كل شئ في حينه ، حينما يلاصق جسدك جسدي ، وتتناهي الحدود والمسافات بيننا ، وتشتعل الشرارة المقدسة معلنة عن أول معركة في التاريخ بين الرغبة والعقل ، بين مفرطي العشق ...

همست بهدوء :

- ستعرف في حينه .

خرج صوته عميقاً بالحزن والألم :

- اليوم أجئ إلي الحكيم عسي يدلني علي أي شئ . وأنت ما سبب قدومك إلي هنا ؟

قدومي إلي هنا قدوم إليك . حتى تهدأ نفسي المحرومة . تلهب شفتاك شفتي . ويحملنا الهوى علي بساطه ونحلق في سماوات علا من العشق والهيام ونطفئ الحيرة والعطش داخلنا.

قلت مراوغة :

- إنني أعشق زيارة معابد بلادي كلها ، خصوصاً معابدها الكبيرة .

عقب مستسلماً :

- الأمر يتعلق بك إذن ؟

بل يتعلق بك أنت . أنت ولا شئ غيرك . ما أتيت هنا إلا من أجلك أنت . لا أدري ما الذي دفعني إلي هنا . له فعل السحر وقدرة الحلم وقوة الأمل.

تظاهرت بالاضطراب :

- أنا .. أنا .. لا شئ (وبحركة تمثيلية) أنه قلبي وهواي ، يأمر وأنا أنفذ .

سألني بلهجة مغايرة :

- أهنالك أحد معين تريدين مقابلته ؟

لا أحد سواك . منذ ملايين السنين ارتبطت الأرواح بعضها ببعض . وكنا أنا وأنت أولها. نسمو فوق الوجود بتلاحمنا وتواصلنا عبر فراش العشق العبق ، الفناء والعدم .

قلت بوضوح :

- الحكيم .

صاح من فرحته :

- يا محاسن الصدف ، وضعنا القدر في طريق واحد .

أجل طريق واحد اصطفت علي جوانبه الآهات ، وافترشت ساحته المتعة ، ورفرفت عليه أغاني ونشوات الجسد .

عقب :

- سمعت عنه كثيراً .. منذ أمد بعيد .. أتوق شوقاً إلي رؤية وجهه الكريم والطرب بدفء حديثه.

قال مصدقاً :

- حب العلم فريضة .

بل حبك هو الفريضة . بل أولي وأحلي الفرائض ، منذ نطق الإله وخط أولي كلماته بالحب . يا حور الجميل .

3

سألت حور :

- يبدو هناك سر خفي وراء اهتمامك الكبير بخنوم ؟

فضحك مراوغاً وأردف :

- أنه اهتمام كهنوتي ليس إلا .

لا تريدني أن أعرف .. سوف أعرف .. أنت بين يدي .. فلا تقلق .. ولا تعجل .. في صدري تكمن الأسرار .. بين نهدي.

أحكمت الخناق حوله :

- لكني أعرف كثيراً من الكهنة ليس لهم نصف اهتمامك هذا ؟

خرج فاراً من الشرك :

- سيدتي صدقيني أنه اهتمام بسيط كما سبق أن ذكرت .

بسيط ؟ أنت لست سهلاً . ماكر لئيم . ستكون نهايتك علي يدي بالعشق أو بالهجر .

تخلي رخ عن صمته الأثير وتدخل في الحوار :

- دعيه يا أماه . يبدو أنه يحب خنوم مثلنا.

عبيط يا رخ ! ستظل عبيطاً إلي الأبد . مأساتي فيك كبري ولا تقدر . خنوم ألهمني الصبر والسلوان . فهذا صنع يديك.

تمتمت بلا اقتناع :

- أجل يا بني ، خنوم كثير الأحبة .

*****

طالت ليلة المساء . نقضي ليلتنا في انتظار مقابلة الحكيم . أردت قطع الوقت بالحديث ، فسألت حور :

- كيف كانت رحلتك ، وهل كان الطريق سهلاً ؟ وكيف كانت وهي ضد التيار والفيضان علي أشده ؟

قال والزهو يملؤه :

- سيدتي المنديسي * لا يعجز عن رحله في النهر ، بيته الصغير ، لا تزيد عن ربع مسافة الحج إلي أوزير**

ثقتك عظيمة في نفسك وثقتي فيك أكبر ولن تعجز عن إرواء امرأة مشتاقة مثلي ، أعلم هذا . حاستي الأنثوية لا تخيب في تقدير قدرات الرجال . لم تخب يوماً .

قلت أزيده غروراً :

- ثقتك في نفسك بلا حدود .

رد وغروره جاوز المدى :

- ليس الأمر أمر ثقة ، فهي في مغروسة .

قلبي خائف عليك . أخاف فقد الذكر بعد أن تعبت الأنثى طويلاً في البحث عن ذكرها الأثير.

قلت راغبة في استمرار الحوار مع حور الجميل :

- الحياة هنا في منف بعد انتقال العاصمة إلي طيبة أصبحت أمراً عسيراً .

أعترض :

- لماذا ؟! ما دام هبتاح ينشر حمايته ويسبغ فضل عليها . أنها منف العظيمة.

---

* المنديسي : أي المنتسب إلي بلدة منديس

** أوزير أو أوزيريس : إله الموتى عند قدماء المصريين ، وسيد الأبدية والعالم الآخر ، زوج إيزيس ووالد حورس.

بتاح من ؟ ومين [1] من ؟ ومنتو [2] من ؟ ألا زلت تؤمن بهذه الآلهة التي لا تنفع ولا تضر. زمنك قديم . مثل روحك القديمة.

قلت محاولة إرضاءه :

- أجل لبتاح فضل كبير غير منكور في القدم ، لكن سيطرة آمون الآن ، سحبت البساط من تحت قدميه.

امتقع وجهه . لم يعجبه الكلام ؟ لم ينطق. حاول رخ الحديث معه . فلم يفلح في محاورته وإخراجه من صمته . أحسست بنفوره من رخ ! رخ وديع ، هادئ ، مسالم !! فملت عليه أنصحه بالصمت . حتى يأمن عواقب هذا المغرور.

*****

طال الوقت !!

لماذا لم يؤذن لنا بالدخول ؟ يا خنوم لا تعبث بنا هكذا حتى في لقاء من أجل البحث عنك ، حتى في لقائنا القديم لم تخل من عبثك الأثير ! ارحمني . فلا تزال دموعي فوق خدي لم تجف . أنهض وارحمني من مأساتي . أنهض ، لنصرتي . بعد أن أهدرت كرامتي . أنهض . يبدو أنه مقضي عليك بالاختفاء إلي الأبد .

ما هو أنت في الاختفاء . فكان السعي وراءك.

4

هبط الدرج الصغير في نهاية الفناء كاهن ضخم . دهشنا لمنظره ، وحملقت فيه العيون ، أقترب منا قائلاً :

- سيدي الحكيم في انتظاركم .

الحكيم في انتظارنا ن شئ لا يعقل !! قادنا ، بالفعل . إلي حجرة الحكيم .

*****

الأضواء تنتشر علي جانبي الممر الطويل في كوات جانبية ، روائح عطرة تفوح من ثنايا المكان ، الرهبة تغزو نفسي ، فلا صوت يعلو ولا نفس يصدر ، الحكمة في شخص سوف نلتقيها ، أمل كبير عشت أحلم به طويلاً منذ عرفت القراءة ، الحكيم ، مرة واحدة ، أقابله ؟!! شئ ولا في الأحلام!!

1- مين : إله الخصوبة عند قدماء المصريين .

2- منتو : إله احرب عند قدماء المصريين .

3- آمون : إله الدولة الحديثة وسيد طيبة والعالم القديم ، وسبب النصر علي الأعداء ، يعرف بـ { الخفي } ن ربط بينه الأغريق وبين إلههم الأشهر { زيوس } وساووا بينهما.

أهل مدينتنا يهتدون بهدية ، ويحفظون أقواله ، ويصلون إلي الإيمان عبر نفحاته وعظاته الطيبة . رجل عظيم ، فاقت أخلاقه وأفعاله أخلاق البشر وفعالهم ، وأقترب من صدق النبوءة وأمانة الرسالة.

*****

وقفنا أمام الباب ننتظر حتى يؤذن لنا بالدخول إلي حضرته العلوية . ألتفت إلـي حور وجدتـه كعهدي بـه فحلاً هائجاً بالحب والثورة . رخ غارق في عالمه الغيبي المفضل.

*****

وقعت يدي ، في مكتبة المعبد ، ذات صباح مشرق ، علي بردية التعاليم الكبرى التي ألفهـا الحكيم ، مخطوطـة بخطة الجميل ، النسخة الأصلية ، التهمت سطورها في دقائق معدودات ، وحفظتهـا عن ظهر قلب في يوم واحد . زاد طولها علي عشرين متراً من البردي الجيد النوع والصنع .

الحب هو عين الحياة ، والكراهية هي مقت الإله.

الإله يحب من يحب الحياة ، ويكره من يكرهـا.

العلم من الوجود الأول إلي الوجود الثانـــــــي.

العطاء دليل الوجـــــــود.

لا قيمة للإنسان بدون عمل .

العلم أساس كل تقـــــــدم .

لا معني للحياة دون إيمـــان.

الرجل والمرآة متكامـــــلان.

تعاليم كثيرة جميلة ومفيدة . نفعتني في حياتي ولا زالت.

*****

فتح الباب . أنبعث الضياء يغمرنا . وفيض العطر يطربنا. تقدم حور نحو الداخل . تبعته ورخ . غاصت أقدامنا في رحابة الكساء الأرضي ، سرنا في هدوء ، تكاد أقدامنا تتوقف عن السير ، الرهبـة تسكننا . مكـان عجيب غريب ، حيوانات محنطة تملأ جنباته : غزال ، صقر ن عقاب ، تمساح ، قط ، ثعبان تقطعه سكاكين . وجهنـا نظرنا نحو الحكيم . يتصدر مجلسه آخر الحجرة . نور عميق من عينيه الصافيتين شملنا في جوفه.

جاء صوته هادئاً ، معلناً توقف الدرس . أشار إلي تلاميذه . انصرفوا . ألقينا عليه التحية . فردها بأحسن منها . عرفناه بأنفسنا . فرحب بنا ز وأشار لنا بالجلوس . سألته بعد أن جال فينا بصره الثاقب.

- يا سيد الحكمة ، لماذا كل هذا الشقاء الإنساني الذي نواجهه ؟

دون تفكير :

- في سؤالك تكمن الإجابة ، نابع من الإنسان ولا شئ غيره .

كيف فاتني ذلك ؟!

عرضت عليه مأساتنا:

- ترك الشمال ورحل . كانت نسماته تريق في الوجود إيماناً ورضا .. اختفي واختفت نسماته ، فأين هو ؟

رد علي الفور :

- تقصدين اللغز .. المحير .. خنوم؟

- دون شك .

هو مشكلة حقيقة . لا أحد يدري أين هو .كثيراً ما نعمت بلحظات مختلاه معه . ألتمس منه النصح والإجابة ، كان يهبني ولم يحرمني قط، أحببته بشدة .. أهدي إلي طريقي . الآن ، لم أعد أراه أو أسمع به ، أو أسمع حتى عن أحد رآه أو أختلي به .. يبدو أنه ضاق بنا وبأفعالنا فذهب .ز ذهب غلي غير رجعة.

لقد أختلي بي ، ألم تسمع بذلك ؟! كيف يفوتك ذلك ؟! وإلي غير رجعه كيف ؟! هكذا سوف يضيع ما خططت . لا بد أن أجده ز لا بد أن أجد حلاً لمشكلتي . تركني دون حل لها.

تساءلت بآسي :

- إلي غير رجعة ، كيف ؟!

- أحيانا ، كان يضيق بما حوله ، فيترك العالم كله يتناحر ، ويمشي ، يدعه لشأنه ، ما داموا قد استغنوا عنه ، حتى يوقنوا أن لا نجاة منه إلا إليه ، فيعود ، يعود عندما يشعر أنهم عرفوا قيمته كاملة ، ولن يغنبوه حقه .. يبدو أنه سئم الإصلاح إلي الأبد.

إلي الأبد ؟! هذه هي المأساة الحقيقية ، لا بد أن يظل الإيمان به كامناً في النفوس حتى أصل إلي ما اصبوا إليه. وليكن بعد ذلك ما يكون.

قال حور محتداً :

- كلام سيدي الحكيم يثير الشك في وجوده ويسر به غلي قلوب الباحثين عنه!

رد الحكيم بهدوء :

- لا شك في وجوده بالمرة ، إنما وجوده في الشمال أصبح أصعب من الحصول علي خشب (ون آمون } *

ألا تتفقون معي في ذلك ؟

في صوت واحد :

- بلي يا سيد الحكمة . التجربة تبرهن علي صدق قولك.

بعد صمت جابت معه عيناي فضاء الحجرة الفسيحة . البخور منثور علي نار هادئه . يضفي علي المكان جواً من السحر والقداسة . قال :

---

* سوف ترد قصته في الفصل الثالث .

- عليكم إخلاص النية في البحث عنه أولاً ، حتى تصلوا إليه ، أنه لا يحفل إلا بأصوات الصادقين من مريديه.

الإخلاص موجود . فهل هو موجود ؟ ارحمني يا خنوم .

فصدري مبلل بلعابك وعرقك ودموعك .

رغبة في المعرفة تساءلت :

- تقصد نتجه إلي الجنوب ، يا سيد الحكمة ؟

- في الشمال لا وجود له . ربما يكون رحل إلي القنتين أحب بقاع الأرض إلي قلبه (جسدي أحب بقاعها إليه . احب شئ) .. أو فيله .. أو .. أي مكان آخر .

(بصوت أرتفع نبره) ضاق عقلي بأفعاله واستعصي علي تفسيرها .. وسلمت في النهاية بأنه كان حلماً جميلاً لا يلبث المرء أن ينساه بمجرد الصحو من النوم .

أنفعل حور . وصاح صياحاً لا يليق بحضرة الحكيم :

- كلامك يا سيد الحكمة يحطم الأمل في البحث عنه .

لم ينزعج الحكيم من صياحه . وقدر موقفه . ورد بهدوئه المعتاد :

- ليس بالضبط ، لا بد لمن يبحث عنه من عزيمة قوية وإرادة عفية وإيمان لا يلين ز لا يثور لأتفه الأسباب مثلما أنت ثائر هكذا .

فرحت في حور المغرور . وسعدت بتأنيب الحكيم له . أحرج حور . صمت ولم ينبس بكلمة واحدة . وقلت منهيه اللقاء :

- أخيراً ، بما ينصح سيد الحكمة ؟

- الجنوب ، ولا شئ غير الجنوب .

الجنوب . الجنوب . لا شئ غير الجنوب . آه لم يكن هناك . سوف تكون المأساة عظمي وبلا حدود.

هممنا بالخروج . قال الحكيم :

- انتظروا قليلاً .

فرحت ماذا يريد ؟ أهناك شئ جديد يود إضافته ، يساعدنا في رحلة البحث المضنية عنه ؟ ربما . لن نخسر شيئاً . ليكن الانتظار .

مال علي أحد الرجال خلفه . غاب الرجل فترة قليلة . عاد ومعه شخص تشع منه المهابة . شاب يبدو علية الذكاء ، امتداد لهذا الحكيم العظيم . لما رآه الحكيم قال مرحباً به :

- سيا .. سيا .. تعال يا سيا .

تقدم سيا . وأنحني علي يد الحكيم ليقبلها . سحبها الحكيم بسرعة غير ملحوظة وربت علي كتفه في حنو. وقال مقدماً إياه :

- سيا ارقي عقل عندي وأطهر قلب.

نظرت إليه فأكبرته في نظري ز ونزلت كلمات الحكيم منزلها من نفسي ز لمحت حور غير منسجم لرؤيته . يبدو أنه غار منه. رخ عاد من عالمه السري .

أردف الحكيم :

- سيا أحب تلاميذي إلي .

تلميذ نابغ في مدرستك الراقية ، أيها الحكيم .

رحبت بسيا . وكذلك رخ . بينما حور صامت شارد متضايق . قال الحكيم :

- معكم سيا يسمع ويري .

إذن سيأتي معنا . أعين لنا أم علينا ؟ مساعدة منه أو له ؟ لا بد من الحذر .

- اعتبروه أنا .. هو أنا وأنا هو .. لا فرق بيننا .. أستشيره في كل شئ ، في رأيه الصواب غالباً .

نظرت إلي سيا ، ثانية ، أتحقق من كلام الحكيم . سيا هادئ . متزن . نظرات عينيه مستقره مطمئنة . متنبه . يقظ . واع بكل ما يدور حوله .

- يذهب معكم إلي الجنوب . أوصيكم به خيراً .

خيراً ؟ إن شاء الإله خيراً . الخير كل الخير . لا تقلق . أيها الحكيم !!

قال وسيا في مواجهته :

- سيا .. أوصيك بهم خيراً . هم أناس طيبون ز جاءوني من الشمال بحثاً عن المحير .. خنوم .. كن لهم خير عون يا سيا .

أنحني سيا يقبل يد سيده الحكيم ز لم يسحبها هذه المرة . أهي من أصول الوداع ؟ قبله وصافحه . تحرك سيا وفي عينيه يلمع الحزن وتطل بوادر دموع كالأطفال اليتامى لفراق سيده ز ونحن نهم بالمغادرة نادي الحكيم :

- سيا .. تعال .. يا سيا..

توقفنا .

- أريد سيا وحده.

5

خرجنا . وخرج كل من بالحجرة ز وبقي الحكيم وسيا . الهواء علي أشده يعربد في فناء المعبد المفتوح في عمق الليل .

ماذا يصنع الحكيم مع سيا ؟ يدبران أمراً ما ؟ بالتأكيد . حور لا ينطق . يبدو عليه الضيق واضحاً . رخ عاد إلي عالمه الغيبي بسلام . أخذني حور من يدي ، قست يده علي يدي ، شعرت ببدء الرحلة بيننا ، اشتعلت الشرارة يا حور مبكراً ، مال بي إلي أحد أركان الفناء . جاء صوته غاضباً لم اسمعه يتكلم هكذا منذ عرفته:

- لماذا وافقت علي مرافقة سيا لنا ؟ أنت كنت ضميرنا ؟

أهذا ما يضايقك أيها الحور الجميل ؟ أتخاف علي منه ؟ لا تخف . أتغار ؟ لا تغر.

أجبت بهدوء :

- أوامر الحكيم . أوامر الحكيم لا ترد .

صاح منفعلاً :

- أنه عين علينا .

قلت مهدئه له :

- لا تخف . سنسخدمه لن يستخدمنا .

جاء سيا من بعيد يقول :

- معذرة لو كنت تأخرت .

قلت مرحبة :

- لا شئ يا سيد سيا.

عيناه تشعان سحراً غريباً يكتنفه الغموض .

- لا داعي للكلفة بيننا . أننا أصدقاء . أليس كذلك ؟

- أجل .

- ما أسمك ؟

- ألم يقله الحكيم ؟ راوغ يا سيا رواغ.

افتعلت الهدوء .

- رخت .

- اسم جميل (موجهاً حديثه لحور) واسمك ؟

لم يرد حور عليه . لم يلتفت إليه ز لم يعره اهتماماً . رددت نيابة عنه إنقاذاً مني للموقف :

- حور .

- والغلام ؟

- رخ .. ابني .

- أهلاً وسهلاً .

بعد صمت وسير أوشكا بنا علي الخروج من المعبد قال سيا :

- معكم مركب أم ستستأجرون مركباً ؟

قلت متصنعة التودد :

- سنستأجر مركباً .

6

خرجنا من المعبد إلي الميناء . الميناء مضاءه بالليل . فنار كبير يعلوه مصباح أحال السماء إلي نهار واضح الضياء . يهدي السفن البعيدة إلي موقع الميناء ، قرباً وبعداً ، في ظلمات الليالي التي يغيب فيها القمر ويرحل إلي عشه الأبدي.

الميناء مزدحمة بالمراكب من كل نوع .. من كل حجم .. من كل مكان . هبطنا إلي الشاطئ ز لفت نظري وجود مركب جميلة ، شدت إليها بصري ، وشرحت صدري ن أردت لرحلتنا أن تكون علي ظهرها ، جعلتهم يقتربون منها ، دون شعور ، توقفت أمامها ، توقفوا، لمحت شخصاً ما ينام أعلاها ناظراً إلي السماء ، وشخصين يرقصان فوقها . صاح الشخصان لينبهاه بوجودنا . اتجه بصره نحونا . قفز لتوه ز لا أدري كيف كان إلي جوارنا . قدم نفسه لنا عارضاً خدماته : عنخ .. ملاح أباً عن جد .. قضيت عمري في الملاحة سواء في البحر أو في النهر .. أعلم النهر وأصادق أمواجه وأمواهه .. وأعلم طرقه ودروبه السهلة والوعرة .. . خرج حور عن صمته الطويل ، حتى يخلصنا من ثرثرة الملاح التي لا تنتهي : وهو كذلك أنت ملاحنا }. فرح عنخ وكاد يطير من الفرح . قفز من الأرض للمركب في قفزة جنونية يمهد لنا الصعود . صدنا إلي المركب .

نظراتنا إلي النهر ، لا تشبع ، المراكب كثيرة ، حركة الشحن والتفريغ علي أشدها استعداداً للرحيل في الفجر ، مراكب ذات أشرعة مفردة يعبث بها الهواء كيف شاء ، ويشق بعضها طريقه نحو الهدف ، الحلم المرتجي الجنوب ! الجنوب ! والبعض الآخر قادم من الميناء أو متجه إلي الشمال في رحلة أبدية لا تنتهي . وأخري ذات أشرعة مضمومة راسية إلي الشاطئ .

نسمات الميناء منعشة ، منظر الأهرام في الغرب يبعث في النفس الهدوء والسكينة .

شوقي إلي الرحيل لا يقدر .

رحيل يصلني به . رحيل يسبب وصالاً ويقطع جرحاً ويقيم فرحاً ويديمه . قلبي لا يخدعني أبداً . سوف أصل إليه . سوف أصل بكل تأكيد . من سعي وصل .

*****

سأل عنخ :

- الإبحار الليلة ، أم في الصباح ؟

الآن يا عنخ ، لا تضع الوقت ، مضي وقت كثير بلا طائل ن أريد أن أصل بأقصى سرعة . وإلا حطمت ما يقف في طريقي ويعترض مجراي .

لم يرد عليه أحد ، فقلت :

- ما تراه مناسباً يا عنخ ، أنت أعلم بأحوال الملاحة والنهر . قال ممتناً :

- الإبحار ليلاً ممتع .. والريح في صالحنا .. فلا داعي لتفويت الفرصة .

أنت أيضاً تبحث عن فرصة ؟! وما الفرصة التي تبحث عنها إذن ؟

قال عنخ :

- شن .. رن .. استعدا .

أنتفض عنخ يأمر مساعديه بالإعداد للرحيل . دبت في المركب حركة غير عادية . وقف عنخ علي مقدمة المركب ، قرب الصاري الطويل الضخم .

حور صامت مكتئب .

سيا يتأمل بهدوء .

رخ سعيد.

تجربة جديدة عليه . يخرج لأول مرة في حياته من مدينته الصغيرة إلي منف العظيمة ذات الأبواب المتعددة والبشر الغفيرة والمباني العالية والميناء الضخمة . يخرج إلي الجنة ، يا للآسف يا رخ لم نمض وقتاً طويلاً بها. أعدك أن يكون حفل تتويجك بها. وأن يكون رائعاً لم يحدث لملك من قبل ولن يحدث من بعد .

قال عنخ :

- حل يا شن .

نزل شن إلي الأرض في لمح البصر . ترك رن ما في يده . ووثب غلي الوتد المربوطة فيه المركب . حاول رفعه قبل شن ز لم يتركه شن يرفعه . تركا الوتد وتشاجرا معاً . قفز عنخ إلي الأرض يفض الاشتباك . وأخذ يكيل لهما الضربات سوياً . وسحب رن من يده وصعد به إلي المركب . رفع شن الوتد سعيداً بانتصاره . وقفز إلي المركب وسحب السقالة لأعلي المركب . ورن لا يزال يبكي . وشن يخرج له لسانه ملء فيه . صاح فيهما عنخ : { لا داعي للمزاح السخيف أمام الضيوف } .

قال عنخ مصالحاً رن :

- رن أرفع الخطاف .

ضحكت مما يحدث . سعد رن ومسح دموعه بيديه . وفي منتهى الحيوية ، اتجه إلي مقدمة المركب ، وأمسك بسلسلة ضخمة وجذبها نحوه فدوى صوتها مقلقاً الماء الساكن . لم يقدر علي رفعها وحده . قال له شن : أساعدك . صرخ صائحاً : لا . قال له عنخ ك دعه يساعدك يا رن ، الخطاف ثقيل . قال متحدياً : لا . صمم أن يخرجه من الماء وحده . أمسك بالسلسلة وأخذ يجذبها نحوه . أخيراً صعد الخطاف الضخم من قاع النهر . ربطه إلي مقدمة المركب .

أشار عنخ غلي الصاري . تقدم الاثنان محاولين تسلقه . ضرب شن رن . صاح فيه عنخ : دعه يا شن . غضب شن . لم يكذب رن خبراً . تسلق الصاري بسرعة فائقة وبدأ فك رباط الشراع . نزل كما صعد في سرعة خاطفة . أمسك أحد الحبال وجذبه مرة واحدة إلي الوراء . أهتز الشراع . عبث به الهواء . امتلأ به .

صارت المركب تحت رحمة النهر . أصبحت أسيره هواه . لا شئ يصلنا بالبر أصبحنا والنهر شيئاً واحداً متجانساً . ما يجري عليه يجري علينا.

الوحدة الأبدية مع الإبحار بلا نهاية .

*****

وقف عنخ علي الدفة ، وشن علي الشراع والحبال ، ورن علي مقدمة المركب يرقب أنجاه الريح .

بدأت رحلة الإبحار الليلية .

*****

جلست أراقب النهر في الليل بهيام متناه . بينما أصطحب عنخ الباقين إلي حجراتهم ، لينعموا بنوم هادئ بعد يوم شاق . المركب تسير وتعمق سيرها وسط النهر .. المركب تغادر منف وتبعد عن المدينة .

الإبحار متعة .

والترحال ممتع .

والبحث عن المجهول أمتع.

2

ميـن فــي أخــمـيـم

حـــور

1

منديس * وداعاً !

قلبي الخانق بالعشق دوماً !

رحيق الزهور ، نسمة الهواء المعانقة لسحب السماء البيضاء ، تيار من الأحلام المنعشة ، فيض من الذكريات المورقة ، وشعاع الضوء المغسول بقطرات الندي كل صباح .

*****

رؤية ثملة بالأحلام . في إغفاءة الليل الحالمة قبل بزوغ الفجر ، دبت شبه همسه داخلي ، ترددت أول الأمر في حقيقتها ، حسبتها خاطراً لا يلبث أن يزول .

ينطلق الليل عدواً ، يلقي بسدوله ، جاثماً ، عند قدمي الفجر ، في اللحظة الغارقة بين عتمة الليل وضوء الفجر تسلل إلي شعور خفي لم أتبينه .

ضياء ينبش ظلمة الفجر العاشقة . يقظه غير متراتبة . علي أن استيقظ ز العمر يبدأ صغيراً تمماً كالضوء ويأخذ في النمو حتى نقطة النهاية .

عليك أن تصحو يا حور .

الفجر لائح .

*****

في الأفق الشرقي ، أنبثق نبع ضياء ، راح يرسل أشعته الفضية مبدداً الظلام .

*****

تمتد جذوري غلي أعمق أعماق منديس ز هذه المباركة . مدينة خنوم منها أبي وجدي وأصلي . ذكر لي أبى أن جده الأعلي ، كان يخدم في معبد خنوم العظيم ، علي عهد الملك زوسر [1] صاحب الهرم المدرج الشهير .

*****

وغريب أمر زواج أبى ، تزوج صعيدية !! ولم يتزوج منديسية كما هو متبع. مع أن أبي منديسي أباً عن جد !!

*****

---

* منديس : تل الربع وتمي الأمديد ، شمال شرق السنبلاوين ، محافظة الدقهلية

(1) سوف يرد ذكره مفصلاً في الفصل السابع ك (الأمل في الفنتين).

وما أذكره ، عن أبي في شأن زواجه ، أن أمي كانت أبنه خاله له ، تزوجت ، وارتحلت مع زوجها الصعيدي إلي موطنة . وأنجبت جدتي ولداً – أبى ، وأنجبت أختها الأخرى بنتاً – أمي . وقررت الأختان فيما بعد أن يقترن الابن بالأبنه حين يكبران ليصلا ما أنقطع وصله عبر السنين الطويلة .

ولما حان الوقت ، لم ير أبى غضاضة في ذلك ورحب بكل سرور . فقد كان يميل إلي ابنة خالته ، عبر الزيارات القليلة التي تمت بين الأختين ، وكان لها أيضاً نفس الميل .

لم تكن الأختان تعلمان هذا . فظنتا أنهما ربما بهذا الزواج قد يجبران الفتي والفتاة علي زواج غير مرغوب فيه منهما وخشيتا معصية الإله العادل في سمائه ، ولقاءه والوقوف بين يديه يوم الحساب في محكمته الموقرة .

وحاولتا الإصلاح ز فلما علمتا الحقيقة كانت سعادتهما غامرة وتم الزواج بمباركة الإله العظيم في سمائه .

وكان لعظم شأن هذا الزواج ومراسم الاحتفال به ، أن تحاكت به منديس وما جاورها لأجيال طوال.

*****

خنوم

أين أنت ؟!!

قلبي يتوق شوقاً إلي رؤيتك ، فهل من لقاء بعد طول انتظار ؟!!

*****

لا زلت أذكر صورة أبي .. لا زالت واضحة في مخيلتي .. لم تتغير كأنها بالأمس القريب . كان طويلاً غير بدين ، قصير الشعر فاحمة . وذا نفس عالية وحس مرهف لم أر لهما مثيلاً.

أحببته واحبني بشدة ، إذ كنت وحيدة . وكنت أكثر من الجلوس إلي جواره وهو عاكف علي عمله يصنع النعال في حنو وحب . وكانت مهنته هذه تدر علينا دخلاً ليس بالقليل. تعلمت منه الصبر والرفق ، كان بحق معلمي ومرشدي الأول .

*****

كان أبى يحلم بأن أصبح من عظماء البلاد ، زج بي في المعبد منذ نعومة أظافري حتى أتعلم وأصبح ذا شأن عظيم ، فقد كان يرى العلم أساس كل نهضة أو ارتقاء .... لم يكن يؤخر لي رغبة .. رحمه الإله وطيب ثراه .

*****

كان التعلم في بدايته مرهقاً لكنى قاومت وتسلحت بالصبر الذي لقنني إياه أبى وأخذت أتذكر أقواله لي عن العلم ومأثره وعن المستقبل الزاهر الذي ينتظرنى إذا واصلت السير فيه ، فكانت بمثابة الحافز لي علي المواصلة . وسرت علي الطريق الذي أراده له لي أبى ، لم أتوان لحظة ، ولم أخلف ظنه فيما أراده لي ذات يوم .

*****

تعلمت الحساب والفلك والهندسة وعاقرت لفائف الطب البردية طويلاً أقطف من ثمارها . إلا أن هذه العلوم لم تستهوني بقدر ما اجتذبني علوم اللاهوت وسلك الكهنوت .

بدأ وعيى الصغير ينفتح علي أشياء كثيرة . ولنبوءة حدست إياها من رصدى للأحداث ومشاهداتي البريئة ، لم أرغب في الالتحاق بجيش مولاي . كما كان يطمح كثير من زملائي في المعبد بعد إتمام دراستهم به ، ولم أقنع بالتدرج في مناصبه حتى أصل بعد طول عناء وعطف من جلالته إلي أقصى ما قد يصل إليه إنسان ، وفي نهاية العمر بعد أن يكون قد أفنى حياته في خدمة مولاه ، حاكم إقليم !!!

ليس هذا كل طموحي .

*****

ازدادت الرغبة داخلي في أن أصبح كاهنا ، صارحت سيبدى كبير كهنة منديس ، الذي لولاه لما عتبت بوابة المعبد ، بذلك ، فسعد وشملني بعطفه ورعايته وحملني في عنقي دينا آخر فوق ديوني الكثيرة التي أدين بها وتعجز عن ردها الجبال الشاهقات .

*****

اتجهت إلي الدين بكليتي . وسيدي كبير الكهنة سعيد بي ، مسرور من تفوقي وحماسي للدين ، فقربني منه علي صغر سني حتى صرت ساعده الأيمن وجعلني أحضر مجلس الكهان الأعظم ، مما أوغر صدر الكهان علي . وتوسم في النبوغ وتنبأ بمستقبل عظيم .

*****

هبت الشمس تقطع رحلتها الأبدية ، مرسلة أول أشعتها إلي مركبنا الجميلة .

*****

أصبح الدين هو المسيطر علي البلاد .. عن طريقه تستطيع أن تفعل ما تريد وقتما تريد .. وأن تصل إلي ما تريد أيا كان ثمنه أو موقعه أو قدره .. مر .. تطع . لذا لم ألتحق بالجيش فقد فات زمنه .. وأصبحت السلطة في يد الكاهن الأكبر في طيبة [1] .. بينما صاحب السلطة الحقيقي في تانيس [2] في الشمال لا يحكم من البلاد سوى أقل القليل .. الشرق من البلاد وربما الشمال .. أما الجنوب فقد وقع في نهضة كهنة آمون منذ وقت بعيد .. تقربت إلي صاحب السلطة في تانيس . لكن للأسف ليس بيده شئ .. يا للأسف !! وإن كان يبدو في الصورة ، بعض الوقت لكن للأسف في صورة باهتة .. فقدت " كيمت " كل أملاكها خارج البـــــــلاد ..

1- طيبة : سيدة العالم القديم ، مدين الأقصر حالياً .

2- تانيس : صان الحجر ، مركز الحسينية ، محافظة الشرقية .

وتقلصت حدودها .. وأنتشر فيها الانقسام .. وعم ربوعها الفقر والجوع وأصبحنا في أزمة طاحنة وعلي شفا الهاوية وأصبحت البلاد بين لحظة وأخرى تنتظر النهاية وأصبح الأمل معلقاً علي خنوم العظيم .

*****

خنوم

مالي سواك . فأشفق وأرحم وأمنح وأمنع .

*****

بدخولي سلك الكهنوت أصبحت من ذوى الرؤوس الحليقة علي صغر سني وارتديت رداءاً من جلد الفهد لأصبح كاهناً يقوم بقراءة طقسه فتح الفم حتى يعيد للموتى الحياة ويعيدهم إلي الحياة ، أصبحت كالإله سواء بسواء ، لي القدرة علي إعادة الحياة للموتى وإعادة الموتى للحياة كل هذا بفضل الدين .. فالشكر كل الشكر للدين . أقول كما علمني سيدي كبير الكهنة : قم لترى عيناك ولتسمع أذناك ولتشم أنفك ، ولتتحرك أعضاؤك ، لتدافع عن نفسك أمام أعدائك .

*****

منديس القمر ليلة التمام .

يا لك من مدينة جميلة ، دفنت فيها قلبي ، ولم يزل يخفق بحبك ولا يريد البرء منه أبداً .

يا موطن خنوم أبى الآلهة أجمعين .

قال عنك : " أحب بقاع الأرض إلي قلبي " ." وقال عنى : وأنت يا حور أحب أهلها إلي .. " يهيم بحبك دائماً .. يترنم بجمالك .. يشدو برقتك الأرض كلها ولا يحلو له المقام إلا فوق أرضك لا وتحت سمائك وبين جنباتك .

ورحل !!

قد رحل !!

رحل منذ زمن .. وترك الشمال كله ورحل !! وخلف وراءه القلب في شوق وحيرة وألم .

إلي أين ؟ !

لا أدرى !!

وهأنذا ذاهب إلي الجنوب عسى أن أجد ما يدلني عليه .. أي شئ .. فالقلب مشوق إلي رؤيته .. وفي حنان دائم إلي لمساته الحانية ونفحاته المباركة وهباته السخية .. نفسي فقيرة إلي كل ذلك وأكثر .. فمأساتي كبرى ولا تقدر .

يخفق قلبي باسمة . كل خلجة داخلي تهفو باسمة وترده صباح مساء . أناجيه بكل جوارحي .. بكل ما في كياني .. ومنذ فترة أختفي ، فأين هو ؟؟

أريد أن أعرف أين هو ؟؟

أمرك عجيب حقاً !!

*****

خرجت من حجرتي إلي سطح المركب . تفيض نفسي سروراً وبشراً ، ألما وحرقه ، لا أدري !! المركب آخذة في الإبحار . رحب بي الملاح عنخ لدي ظهوري .

جلست علي حافتها . أرقب النهر روحي القلقة الهائمة ، صدري المتنفس بالعشق واللوعة . الملاح يمارس عمله بهمة ونشاط .. تتعمق المركب وسط النهر . تتقدم في اتجاه الجنوب .

*****

أنطلق الصبح في قلبي متدفقاً .

يا أيتها النفس القلقة المضطربة ، لا تضطربي .. لا تقلقي ، اهدئي ، فأنت الآن ، في حضرة صاحب القداسة الأعظم .

*****

لا تلبث الشمس تظهر حتى تزول .

*****

كانت رغبات الاشتهاء في عيون حريم الإله بالمعبد لا تخفي علي . وكانت تثير داخلي شيئاً من الزهو والخيلاء . أصبحت الرجل الثاني بعد سيدي كبير الكهنة ، بعد أن تخلصت م كل منافسي .

رحن يرقبنني بشدة في شوق ورغبة . كل منهن تتمنى أن تظفر أن تظفر بي . أنني أعلم أنهن جميعاً يعلمن أنني القادم وسوف أصبح في الأيام القادمة كبير الكهنة وسيد منديس وسيد قراري ، ولا ينازعني أحد في أي شئ . يردن أن أحتفظ بهن في المعبد وإلا أطردهن وأستبدلهن بأخريات أكثر جمالاً وأنوثة ورقة وآمر لهن بصرف أجورهن ومتاعهن بانتظام . رحت أتطلع لهذا اليوم حتى أستطيع أن أدخل حلبه المنافسة الكبرى علي العرش الكبير : عرش { كميت تامري } ، وما أظنه ببعيد.

عرش منديس يتراءى تحت قدمي . حاكم الإقليم أمامي لا يسوى شيئاً هذه حقيقة لا شك فيها . أنني أحلم بما هو أعظم .. أحلم بالملك والجاه والثراء . أحلم بإنقاذ البلاد من الحرب الطاحنة التي تكاد تقتلها .. ومن المصير الذي ينتظر البلاد .. أحلم بتوحيد البلاد تحت زعامتي .. وإنهاء الصراعات الداخلية .. والفرصة متاحة .. أحلم بعرشك يا { كميت } الجميلة عرشك كله ولن أرضي عنه بديلا . أتبعت ولا زلت أتبع كل ما يمكن أن يوصلني إلي ما أصبو إليه . وهاأنذا أعمل وأعد نفسي وأنتظر جني الثمار وحصاد السنين ونتاج غرس اليدين ولذة الحلم وروعة الأمل .

*****

المركب تتحرك في خفه ودعه ، تكاد تعدو ، كأن بينها وبين النهر غراماً عميقاً شاهداً علي حب لا يندثر .
استلقيت علي سطحها ، أرقب الأفق في محاولة لخرق حجبة الكثيفة . تتقدم صاعدة في اتجاه الجنوب ، في انسيابية غير معهودة ، في مسيرة بارعة ، يا لها من مركب محبة ، لا تكاد تقلق ما أومن تحمل . يحملها النهر سعيداً مسروراً .

*****

تعمق مسيرها نحو الجنوب . يوم يبدو لطيفاً . أتفاءل خيراً .. بعد طول قلق وانتظار .. أيتها المركب العظيمة ، من فضلك ، عجلي . ليس لدي وقت طويل .

*****

2

انتصف النهار ولا زالت المركب تسرع جاهدة في الوصول ، بأقصى ما تستطيع لم يبق إلا أقل القليل يا حور فلا تعجل .
قلبي يخفق ..
لا تجعله يخفق ..
لا أستطيع ..
قلبي يلهج بالثناء للإله العظيم في سمائه ، وأتمني أن يوفقني في رحلتي ويهديني إلي بغيتي . خفقات قلبي تزداد اضطراباً . كلما زاد الاقتراب .

*****

خرجت رخت من حجرتها إلي سطح المركب بهرني ظهورها .. كل هذا نوم يا رخت انتظرتك منذ الصباح الباكر . بل منذ ملايين السنين يا حبيبتي . لماذا تأخرت علي كل هذا ؟!
آية في الجمال ، ملكة غير متوجه ، شعرك الأسود الفاحم الطويل الناعم ، يثيرني ، ينسدل خلف ظهرك البض ، فارعة الطول ، لونك الخمري يقتلني ، عيناك السوداوان سواد الليل تحضنني من خوفي وألمي ، قوامك ممشوق وقدمك مثير ، تتفوقين علي حتحور في جمالها الإلهي ، أنثي ريانة تفوحين بالحب والرغبة وأني لمفجرهما داخلك مهما طال الزمن ، لنظراتك فعل أقوي من السحر ، تطل من عينيك رغبة مكبوتة منذ ألف عام ، فشل الكثيرون في إروائها ، رواؤك عندي ، بين صدري ، وسط نبضي ، في قلبي ، في عنقي ، في نظرة عيني المسبلة ، عبر آهاتي الملهبة . اقتربت مني وجلست إلي جواري . قالت وهي تعبث بخصلات شعرها المسدل :

- حور .. كيف أنت ؟

- بخير .

- نمت جيداً الليلة الماضية ؟

- حمداً للإله . أين رخ ؟

- نائم .

- وسيا الكئيب ؟

- يرتل أوراقه منذ الصباح ، أقلق مرقدي بصوته المزعج .

صمت . وعيناها تلتهماني سألتني بخبث :

- لماذا تكرهه ؟

أتعتقدين أنني أغار منه ؟! خدعك غرورك . تعتقدين إنك دائماً أول الحقيقة وآخرها . أول الحياة وأملها . حلم المهد . وصبابة الوجد . الأولي وقبل كل شئ !!

- ولماذا أحبه ؟

صمتت.

يا لك من أنثي شهية . عجز البيان عن وصفك أيتها الحسناء . ما أحلي قرارات القدر ، إذا جمعنا ، أنا وأنت ، في فراش واحد . أقبلي . أقبلي يا رخت ولا تخافي . فإني قيض من الحب والحنان .

سألت :

- حور فيم أنت سارح ؟

فيك أنت . أهناك شئ غيرك بهرني منذ البداية . من أول نظرة .

- لا شئ .

حكايتنا غريبة يا رخت ، بعد ملايين السنين من الفراق ، يجمعنا الحب بين أحضانه ؟! لا شئ يقوي علي الوقوف أمام جمالك . الكل يتهاوى . يسبح بحمدك . لا شك سوف أملكك وأعبث بك كيفما أشاء ز ملايين السنين تتجمع في لحظة واحدة . القدر يحكم حلقاته حولنا . ويدفعنا إلي التوحد . أتوق شوقاً إلي رؤيتك عارية من كل شئ عدا حبي والطرب بجسدك الشهي .

سألتني بشفتيها الناريتين :-

- حور .. أريد أن أعرفك أكثر ؟

سوف تعرفينني . لكن ليس هنا . الفراش أفضل مكان للتعارف . أليس كذلك ؟ بلي يا حور . أعلم هذا .. لا تزعجيني كثيراً بتعليقاتك .. دعيني ونفسي . أنا نفسك . ليس لي من نفس .. أنا .. أنا .. بل أنت لا شئ.

بدأت في تعريف رخت بنفسي استعداداً للملاقاة الكبرى . استعدت رخت للاستماع بابتسامة ملأت ثغرها . أردت في هذه اللحظة تقبيلها وأن أمكن مضاجعتها . لولا خوفي من التهور . وسبق الأوان . وإفساد الإتيان..

قلت :

تعلمين اسمي ، حور من منديس ، أتيت غلي معبد بتاح في منف ، كما تعلمين أيضاً ، لأقابل الحاكم . نصح بذلك سيدي كبير كهنة منديس وسبب التحاقي بسلك الكهنوت أردت أن أري خنوم . أن أعرفه أكثر قلبي يتوق شوقاً إلي رؤيته . نظرت إليها فوجدتها تشرق أكثر ابتساما.

*****

أذكر ذات مرة ، ربما سقط المكان من الذاكرة ، لا . لا . أنني اذكر .. أنني كنت واقفاً إلي جوار قصره ، وبمجرد خروجه منه . مسح شعري بحركة حانية من يده وقبلني وتهلل وجهه نتيجة لما فعل ، وأعطاني تفاحة (هنا أزداد انتباه رخت) ، لا زالت معي حتى الآن ، لم تتحلل .. لم تتغير .. لم يحدث لها شئ علي الإطلاق.

*****

أنني فخور بخنوم ، ذلك الذي يحبه الناس جميعاً ، يحب الناس أيضاً ، قلبه كبير يسع الجميع ، عطوف ، لا تعلق به ذرة من كبر أو غل أو حقد ، كنت أراه ابتهج لرؤيته . يسير وراءه خدامه وأتباعه ، لا يحتقر أحداً بسبب عظم قدره ومكانته ، أنه ذلك القلب الكبير الذي جعلنا نحيا جميعاً في هدوء وسلام . بعيداً عن كل المشكلات تحت عطفه وحنانه ، لكنه غاب منذ زمن ، ولم يعد يراه أحد . أين هو ؟؟!!

*****

بدا التأثر واضحاً علي وجه رخت . قالت :

- عظيم .. أكمل يا حور .

لا شئ عظيم سوي جسدك المغري المثير ز صدقيني ؟ أصدقك . لا داعي للإزعاج قلت لك . لا تغضب .

*****

أذكر أنني عندما سألت أبي عنه همس في حسرة يغلفها التحوط :

- آه .. آه .. كانت أياماً ، في وجوده انتفى من الأرض الجوع وعم السلام .فعقبت في تأثر :

- لكنني أدركه .. رأيته ذات مره .

تمتم وهو لا يعي ما أقول :

- هو سر تاهت فيه العقول والقلوب .

من ضيقي صحت قائلاً :

- لكنني أدركته .

فأطرق قائلاً :

- للأسف لم يدركه أحد .

أرت أن أساله عن مكانه وأين أختفي . فعلم ما يمور بداخلي فأردف :

- عبثاً ما تحاول يا بني لن تجده .. لن تجده أبداً .. فقد عجز الكثيرون ..

صمت واستدرك :

- سلم الجميع بأنه حلم جميل يطوف بخيال النائم دون المستيقظ.

فقلت منفعلاً :

- بل سأجده ذات يوم .

وهمس :

- تاهت فيه العقول ولم يدركه أحد .. تاهت فيه القلوب ولم يدركه أحد ز

وأخذ يردد قوله يغادر الحجرة . وحاولت معه مرة أخري حتى أثقلت عليه فصمت ولم يجب.

*****

أين هو ؟؟!!

في تلك الليلة ، بكيت بكاء حاراً ولم أنم فيها لحظة واحدة وبدت تلك الليلة أسوأ ليلة في حياتي ، تذكرت التفاحة ، فأختها في حضني ربما تعين علي النوم . هيهات !! أنني أتعجب !!

لماذا ؟

لأن جارنا باورديس يحدثني كثيراً عنه وعن خبراته معه وأنه يراه في المنام ويتحدث إليه كثيراً وأنه إذا أراده لا يأتي !! وإذا أهمله يأتي !!

لماذا لا يأتيني في المنام ؟؟!!

ألا يعطف علي ويأتي ، أريد أن أراه ، بعد أن كبرت وأزداد الرأس علماً ، والقلب له حباً ، أليس حبه هذا هو الذي دفعني إلي التعلم وإلي المزيد من التعلم والانخراط في سلك الكهنوت ؟ ألا يأتي إلي عندما لا نريده ؟؟!

أنني في أمس الحاجة إليه أفلا يأتي ..؟؟!

أمره محير حقاً!!

*****

قالت رخت :

- قصة جميلة

بل أنت الجميلة . الطريق ممهد إليك . تختفي منه العوائق . وينبسط الأفق إلي ما لا نهاية . ثقتي فيك كبيرة وحلمي بك ليس له حدود . وجودك يسهل الصعاب ويرحمني من ضجر هذه الرحلة القاتلة مع سيا الممل . ويحيل الوجود إلي مذاق أحلي من الشهد المصفي .

قلت :

- ماذا عن حكايتك مع خنوم ؟

- ستعرف في حينه .

- متي ؟

- لا تعجل .

قالت :

- كنت أراه أبتهج لرؤيته وأسعد أشد السعادة .

هدفي وهدفك واحد . أيتها السماء الكبيرة التي تظللني ارتكزي علي أعمدتك الأربعة واهدئي . لا شئ يفصلني عن ملكيتي . قلت هائماً :

- قلبي معلق به وروحي هائم به . لا انفصام بيننا.

{ ذهب إلي غير رجعة } !! كيف ؟؟!! لا داعي للمهاترات وسط الحقائق . هكذا سوف يضيع طريقي إلي العرش إلي الأبد . سوف تنمحي معالمه . وأفقد الرؤية . وأضل السبيل. وأظل في متاهة أبية . وتلفني ظلمة قهرية . الرحمة فقلبي يكاد ينفجر وعقلي لا يتحمل .

- لماذا أنت سار ؟ فيم تفكر ؟

فيك .

تظاهرت بالخجل . لا مكان ولا وقت له بيننا . صح يا رخ ؟ طبعاً صح . أنت ثانية ؟!

3

ظهر سيا الثقيل من بعيد . تشاءمت حينما رايته أول مرة . ولا زال نفس الشعور يلازمني . مالت الشمس إلي المغيب . نامت الريح . قال عنخ : { لن نستطيع الإبحار الليلة ، حتى تعود الريح } إنه نحس . لم يصدقني أحد ! صدقتك . أنت ثانية ؟! أنا ثانية وثالثة وغلي الأبد . لا مفر . أصابنا جميعاً الضجر . عنخ عينه علي الهواء لا تهدأ.

*****

في المساء ، اقتربت من رخت ، قرب مقدمة المركب . وهي واقفة تنظر إلي النهر بعمق قات لها : { متي أسمع حكايتك ؟} ابتسمت وقال : { دائماً أنت متعجل يا حور . أصبر } قلت أستحثها إلي رغبتي : { أريدك . في أقرب فرصة } . ابتسمت . ولم تنطق هبت الريح الكريمة . عبرنا بمدينة خربة علامة علي عهد غابر . أشار غليها عنخ : { مدينة المارق .. لم يسكنها أحد من بعده .. اعتبروها دنسه .. ولم تطأها قدم من بعده ..} رد سيا السمج : { لم يكن مارقاً .. بل كان مفكراً ومصلحاً عظيماً } . صحت فيه { لا بل كان زنديقاً كبيراً } . أردت أن أصطدم به بأي شكل . لم يعطني الفرصة . تضايقت كثيراً من عدم نجاحي في تحقيق هدفي . هدأت رخت من روعي .

*****

بعد أيام من الإبحار المتواصل ، كانت فيها الريح في صالحنا ، وصلنا أخميم * بناءً علي نصيحة عنخ ، بعد رحلة إبحار شاقة للغاية .

*****

الآن ترسو المركب ، أخرج تليني رخت فرخ ، ثم عنخ ، وأخيراً سيا الكئيب .

الطريق إلي معبد مين طويل ، لكنه مين رب الخصوبة لا يلتقي رجل بإمرآة ، أو أي ذكر بأنثي غلا وهو ثالثهما ، أو أكثر من ذلك إلا وهو معهم .

آتيناك يا مين يا رب الخصوبة .. يا رب الرياح .. يا رب المطر .. يا رب السيول .. يا رب القوافل في الصحراء الشرقية .ز يا من تسكن في عليائك ، لنجد عندك شيئاً . أي شئ .

احتضنت رخت أبنها رخ بقوة قرب بوابة المعبد .. أحقاً أستطيع أن أكون سيداً للبلاد ؟ هل يتحقق الحلم القديم ؟ بعد طول إعداد وعناء وتعلم وتعب يبدو إنني سأكون سيداً للعالمين حقاً .. كما وعدني خنوم .. ألم يعطني تفاحة ؟ تعد بمثابة مبايعة منه لي بالعرش وبكل شئ ؟ بلي . وخنوم سيد العالمين . لكن يبدو أن الحلم ليس سهلاً .. فلنجرب .. ولتكن مشيئة الإله .. أبي مين أتيت إليك فلا تردني أجل لا تردني مكسور الخاطر أنني أحبك كما أحب خنوم . حور حبيب صديقك خنوم .

استأذنت في الدخول إلي حضرة كبير الكهنة . فسمح لي بالدخول . أرادت رخت الدخول فلم يسمح لها. وعقب الحارس : { ممنوع دخول النساء إلي حضرة الكبير } تعجبت وردت بسرعة : { إذن فليدخل أبني }. فتمتم الحارس في سخرية : { أيضاً لا يسمح بدخول الصغار إليه } . صاحت : { إنه ليس صغيراً } . فعقب متهكماً : { لحيته لم تنبت بعد } . صمتت والتزمت الصمت . خرجت من لقاء كبير الكهنة العقيم الذي لم يزدني شيئاً ولم انبس . أتكلم بماذا وهو لم يقل شيئاً . أنه لا يعلم شيئاً . الرجل كان ثملاً ولا يريد أن يفيق . دعاني غلي الشراب والنساء فلم ألب دعوته . واعتذرت بأن هناك من ينتظرني بالخارج .

حمداً للإله لم يدخل سيا الثقيل معي . وأكتفي بالجلوس مع رخت ورخ وعنخ في فناء المعبد . الآن أستطيع أن أعبث بأعصابها كما يحلو لي . أعلم أنها تهدأ حتى تعرف . أعلم أنها جنت وأنا بالداخل وهي بالخارج تفصل بينها وبين الأسرار الأسوار . تخاف الغدر . وهي الغدر نفسه . تريد أن تعرف ما دار بيني وبين الكبير . وأنا خجلان من الحقيقة ولو قلتها سوف تقول أنني أخدعها أو أهزأ بها . راوغتها : { قال أنه لم يعد له بقاء في تلك المنطقة } . تعجبت . كيف لا يكون له وجود !! كانت رحلة الإبحار شاقة ، ولم نستطع الإبحار ثانية ، وحل الظلام ، قررنا قضاء تلك الليلة في أخميم للراحة ، وتزويد المركب بما تحتاج . أخذ عنخ رخ في يده ، وذهبا لجلب ما يلزم المركب . وخرج سيا المضجر في جولة تفقدية للمنطقة كما أدعي .

---

* أخميم : مدينة في صعيد مصر – محافظة سوهاج .

رخت

1

كان جالساً علي الشاطئ يبدو وكأنه يحصى النجوم عدداً . مال برأسه تجاه المركب فيما أنا نازلة منها . اقتربت منه . جلست إلي جواره . لم يمل إلي . بدأت أتحدث : بالطبع لا تعرف حكايتي ، وبحثي الحار عن خنوم وسر قدومي إلي هنا .. يبدو أنك دخلت في أعماقي ولأحكي لك حكايتي ، لم يلتفت إلي .

2

كانت لي زوجة أب ، عنيفة ، قاسية . كانت نجواي وسلواي . أن أذهب إلي النهر ، كلما أردت الهروب من ذلك الجو الخانق بالنسبة لي .

النهر هو عين الحياة في بلادنا .

أنني من الدلتا ، ولا أخفي عليك سراً ، أنني أعشق الدلتا وأموت حباً في ترابها . كانت الشمس مشرقة . والمنهار لا زال في أوله . في ذلك اليوم لم آخذ معي خادمتي اقتربت من النهر . تجردت من ملابسي كالعادة . مع كل قطرة دغدغة في جسدي تسرى بلحن مرهف .

كانت ترانيم خنوم هي ما أردد ، وأنا أستحم ، تهيج مشاعري ، وأشعر باللذة والارتواء ، وكأنى في لقاء . الماء ملمسه مثير . يثير في شيئاً ما لا أعلمه . أحبه . أعشقه . كنت مكتملة الأعضاء ... و ... وأستوي عودي بشيء ملفت للنظر آثار غيرة بنات سني .

شئ غريب يحدث في السماء . أشياء . برق . رعد . نور هادئ . شئ يحدث ولا يحدث . ظهر رجل مهيب الطلعة . جميل الوجه لم أر أجمل منه وجهاً . أشار إلي أن أخرج . لا أخفي عليك كنت مذعورة . عندما خرجت وأمرني بالا أرتدي ملابسي . خفت . ماذا تريد ؟ !

مال بي إلي شجرة . أخذ يهدهدني كأني طفلة صغيرة . وابتسمت . أشرقت ابتسامتي في الأفق . أنا خنوم . غبت عن الوعي .

استيقظت علي عبيره . وابتسمت في حضرته . أقترب منى علي الفور . والشوق يقتله . تحركت رغبته نحوي . شئ ما يطوف حولي . مسح بيده شعري ضمني نسيت كل شئ .

ابتسمت ثانية . أبتسم . (ألتفت إلي حور) . مال علي يقبلني . ملت . ملت . خدر غريب يسرى في جسدي ، لم أذق طعمه بهذه الحلاوة من قبل . كان لذيذاً للغاية . (زاد انتباه حور) لم أنزعج .

تسرب حبه المترع بالخصوبة والحيوية إلي جسدي الجائع . غمرني عبيره . صنع معي كل ما يشتهيه . وفعلت كل ما في وسعى لإسعاده .

ما أعظم قوتك . مشاهدة جسدك شئ مثير ، إنداؤك تنتشر في أعضائي .

قلت . كرر معي كل ما كان يرغب فيه ويحلم به . قال وهو يتركني :

ستلدين منى ابنا يكون سيداً للعالمين ، يطلق علي هذا الابن الذي وضعته في جسدك أسم "رخ " سوف يتولي الملك في جميع أرجاء البلاد . اقتداري له ، وسلطتي له ، وقوتي له ، وتاجي العظيم ملك له ، يحكم القطرين ويقود الأحياء أجمعين .. تتحد الأرضان من اجله ، وأكفل له الحماية السحرية . *

أول الأمر فرحت . قلقت من أهلي واكتشاف أمري . ارتديت ملابسي نشوانة . وكل ما أرتديه أخلعه لأتذكره . كل قطعة . كل لمسة . كل ضمة . كل قبلة . لها ذكرى أثيرة عندي . تذكرني به . يوم ميمون . ونهار رائع . (وفي همس) ولا زلت أحتفظ بها .

لم أشعر بطعم اللذة التي شعرت بها معه . علي كثرة الرجال الذين بهم التقيت !! لا تنظر إلي هكذا . لم أكن غانية الحي . (أسدلت جفوني) كانت أياماً أحلي من العسل المصفي لا يوما واحداً فحسب . هكذا قد تأتى الإنسان في يوم واحد . في لحظة واحدة . في ضربة واحدة . خبرة تعجز عن حصدها الأعوام .

كانت أياماً وليس يوماً واحداً .

- أهو ذلك الصبي الذي معك ؟ .

- هو .

3

حاول الملاينة والجذب . بعد أن دغدغ أعصابه الكلام فتبسط :

- أنت جميلة فعلاً ، لم أشد إلي امرأة من قبل ، لاحتقاري لهن ، كما أنا مشدود إليك الآن ، وجدت فيك شيئاً مختلفاً .. أنت ككل مختلفة .. تصيبين المرء بالدهشة باللوعة بالألم بالرغبة بالفرحة بالأمل ..

- نفس الشعور يراودني (وأنا أمسح علي شعره) أريد الحب ، وأنت صانعة وبائعة ، أريدك ككل .. أريدك بشدة . معاشرتك حلمي . الزمن معنا .

- ظمؤك شديد .

- حساس . تقدر مشاعر وأحاسيس المرأة مثلي .

- تفضلين في الطبيعة أم في الأماكن المغلقة ؟

مبتهجة :

- بين أحضان الطبيعة أفضل كثيراً .

- الطبيعة الآن صامتة ، لا تشجع علي شئ ، لا يوجد نهر مشرق ، أو حديقة غناء ، أو وادى عميق رطب . مرة أخرى يا رخت أعدك أنها سوف تكون ملحمة لن تنسيها إلي الأبد . تكتب علي صفحات جسدك مرقشة بأحرف من المتعة والعذاب . المرات القادمة كثيرة لا تحصى .

---

* مقتطف من قصة الولادة الإلهية للملكة حاتشبسوت بالدير البحري بالأقصر ، حيث معبدها الشهير .

4

سرنا إلي المركب سوياً : رخت وحور . يدي في يده . صعدت أولا وهو ثانياً . إلي حجرته دخلنا . كانت الإضاءة خافتة . جلس علي مقعدنا وأنا علي حافته . أخذت أعبث بخصلات شعره . أسترخي تماماً .

- حور ، تهيأ لنا الحال ، فتحرر من كل قيودك . وتبسط .
- لتكن إرادتك .

أخذنا في خلع ملابسنا . وإلي الفراش أوينا . وقبل أن يعبث بجسدي .

- عزيزي حــور ، أريد أن أعرف شيئاً ، أتستطيع قوله ؟
- إن كان في استطاعتي .
- ما هو ؟
- ماذا كان قول كبير الكهنة لك في معبد مين ؟
- سر وليس بسر .
- لغز ؟
- ربما .
- ما هو ؟
- دفن خنوم في وادي الملوك * لانتهاء عصره .
- أهذا كل ما قاله أيها الثعلب اللئيم ؟
- كل ما قاله ؟ !

فلأغير الحديث حتى لا يشك في دعوتي .

- أحبك يا حــور .
- نفس الشعور .
- لماذا تحبني .
- المرأة التي أختارها خنوم لتكون حبيبة له وأما لأبنه ، أليس هذا كفيلاً بحبها ؟

لبق حقاً .

- بلي يا عزيزي .
- لماذا تخيرتني عشيقاً ؟

---

* وادي الملوك : مكان غرب مدينة الأقصر خصص لدفن ملوك الدولة الحديثة ، أشهر مقابره ، مقبرة الملك الصغير توت عنخ آمون ، أهشر شخصية علي وجه الأرض .

- ليس عشيقاً ، بل حبيباً .
- لا فرق .
- فرق . وفرق كبير .
- لماذا كان الاختيار ؟
- أنت الباحث عن خنوم . أعطاك تفاحة . بمثابة مبايعة منه إليك .
- ألهذا إذن ؟
- ليس هذا كل شئ .
- ما كل شئ إذن ؟
- أشياء عدة : رجل قوى ، وسيم ، ذكى ، طموح ، تسعى للمجد والشهرة وهما قاتلاي قريباً .. (أبتسم) وتجسد نفس الصورة التي ظهر عليها خنوم معي في لقائه القديم .
- القتل . ما سبب ذكره ؟ !

لم يكمل العبارة . قفز من الفراش مرتعباً علي الأرض . هرعت لإنقاذه .

- ماذا حدث ؟
- أشعر بتعب .
- أين ؟
- لا أعرف ، في صدري أم في بطني .

أخذت ردائي . وخرجت أحضر مساحيقي الطيبة والسحرية . دلكت له صدره وبطنه في شئ من القوة . أبتسم ، شكر لي صنيعي . أستند إلي حتى بلغ الفراش . نام وغطيته . حملت حقيبتي إلي مكانها السري . أنعى حظي العثر .

5

لاحت الشمس في الأفق الشرقي . الريح نائمة . المركب متوقفة . جلست أنظر إلي حور بعين نهمة . ماذا يحدث لك يا رخت ؟ تندبين حظك العثر ، أم تمنين نفسك بالأماني ، وبالفوز به ثانية ؟ أم تحلمين ؟؟ قديماً فقدت خنوم . والآن تبحثين عنه . وبالأمس فقط تفقدين حور .ياللحظ العثر !! أعذرك يا رخت . امرأة نارية ثائرة أنت .

رخ

1

سألني حـــور :

- ما حكايتك ؟

- تريد أن تعرف ؟

- نعم .

- لم ؟

- زيادة في العلم ، أحب العلم وأجل أهله .

- فلتكن المشيئة .

2

السيدة التي تجلس أمامك أمي ، سيدة مباركة (أطرقت أمي في حياء) .

- أعلم هذا يا رخ .

كانت تستحم ذات يوم بالنهر ، كعادتها ، وخرج عليها رجل قال أنه خنوم . وحدث بينهما ما حدث . ولما سألت عنه تتأكد . علمت أنه خنوم العظيم حقاً . أبى . ذهبت إلي المعبد ، كما أمرتني أمي ، حتى أتعلم الحكمة والتفلسف وكل شئ ، حتى أكون معداً لقيادة العالمين كما وعدتني أمي بذلك (نكست أمي رأسها) .

- أكمل يا رخ . قصة مسلية .

ليس لقصتي أحداث طوال . لم أفلح فيما سعت أمي من أجله . إنسان بسيط يحب الحياة ويطمح إلي العيش فيها بسعادة وسلام . أحب خنوم وأتمنى أن أراه . أبى الذي لم أره قط .

هذه تقريباً قصتي .

أبتسم حـــور قائلا :

- وفقك الإله لرؤية أبيك العظيم .

3

الحــب فـي دنــدرة

عنــخ

1

خنوم وداعاً !!

فجر جديد يشرق . جديد قديم . قديم جديد . لا جديد تحت الشمس . يوم يبدو حافلاً بالمفاجآت . المطر ليلة أمس كان خفيفاً ، أنصرف وحده علي النهر ، غسل المركب فأصبحت عروساً .

الفجر والشروق رائعان في عز المطر . الكل نائم . وأنت وحدك يا عنخ تلاطم أمواج الحياة بجسارة تحسد عليها .

****

عنخ !

أسم عجيب حقاً !

ضربات الحياة متتابعة ، والقدر يحكم قبضته بقوة . الويل كل الويل لمن يحاول الهروب من السجن الكبير .

أيها النهر .

أنت روحي الهائمة ، أحبك ، أحادثك بكل ما في خاطري ، أتعلم منك الحكمة ، أتعلم منك التهور ، بدأت عليك حياتي وعليك تنتهي . من كثرة انشغالي بالعمل أنهكت العاطفة داخلي قسوة الحياة لا تسمح لي بالحب .

أيها النهر .

شغلت بك عما سواك .

كل شئ يعود إليك .

كل شئ سيعود .

****

حينما رأيت رخت ، أيقظت الرغبة داخلي ، فاجتاحتني رغبة عارمة في أمطارها بسيل من القبلات . لا شك في جمالها وغرورها .

****

بحثت عن الحب في كل مكان ، بعد فوات الأوان ، وفي صدور الغانيات ، في أبهاء الحانات ، مع القرويات الساذجات ، يأتين للبيع والشراء في سوق منف ، أستقبلهن ، كلي شغف ، وهن نازلات لتوهن من المراكب الشراعية الصغيرة ، مقدما خدماتي ...

*****

السعادة في عيون الصغار ، شئ لم أذقه . القسوة والحزن ، رغم تظاهري بالمرح ، يفترشان مكاناً كبيراً من قلبي . تحت وطأة الحاجة ، تعددت أعمالي من سقاء إلي حمال ... وأخيراً مراكبي !! كلما كنت أسأل عن أصلي ، لا يدلني أحد .

قادم من عالم مجهول لا أحد يعلمه .

في أحضان الضياع والتشرد ، مولدي ونشأتي . صغير جائع يصارع الحياة في شجاعة وأقدام ، أجبرت عليهما ، لا حيلة .

الليل والنهار قدوم متواصل ، لا انفصال ، الحياة يوم متصل ، لا فرق بين ليلة ونهاره ، أنشد النجاة ، تصفعني بحار اليأس ، يتوهج بي الأمل ويتنهى إلي لا شئ .

التيه في زوايا النسيان ، مؤرق مؤلم ، الحياة في رأسي تيار متلاطم لا تحده شواطئ ، تغمره أنواء متواصلة بفيض مورها وتقبلها الحاد ، نحو يقين أبحث عنه ، وماضي ألومه ، وحاضر أكتوي بناره وأحاول الانشغال عنه .

خنوم لا تلمني !

لم أؤمن بك في حياتي ، تملكني ثمة شعور بالخوف من المجهول ذات مرة ، ما قيمة الاعتقاد !!

أعجب لهؤلاء الذين يبحثون عنك ! من خنوم هذا ؟ ! كان أعظم الآلهة في الزمن القديم ، الآن لا بد من مسايرة العصر ، حتى لا أصبح سجين المحبسين :

سجن خنوم وسجن الذات .

خنوم عفواً !

الشقاء دفعني لمعادلتك . لست إلهي ، قبضتك قاسية ، لا حانية ، الرحمة ليست صفة من صفاتك .

لماذا صنعت هذا العالم ؟ !

من أجل ماذا ؟ اجبني ؟ تلهو بنا وبمصائرنا ، ثم تعاقبنا في النهاية علي صنع يديك ؟ !! خلقت العالم وتركته لغيرك يحكمه !!

لا أحفل بك أو بغيرك .. لا شئ يهمني سوى عملي ، سبيل التفوق . دعوتك كثيراً ، فلما تستجب ، أيقنت أنك غير موجود . أورثوني جسداً مشوهاً ونفساً مشوهة .. فكيف الخلاص ؟؟؟ !

*****

- .....

سألني سيا متعجباً :

- لماذا تكفر به ؟ ! كيف لا تؤمن به ؟ !

في منتهى السهولة :

- لم أكفر به .. هو الذي أنكر علي إيماني ..

تعجب ولم يرد .

****

أي إله أنت ؟ خلقت الجمال وحرمته علي بعض عبادك ؟ !

****

عقد مجلس الحرب ، بحضور جلالته . نادى بي القواد قائداً عاماً للجيوش . الحلم الكبير . يا له من حلم يا عنخ ! الجنود تتسابق علي الفوز برضاي . تهت وسط ضباب مقيت لا يبصر . طردت يا عنخ من الجندية . وتسلقت مع من تسلق في سبيل الفوز بأي من الغنيمة ، ولو أقل القليل !!

أريد ملامسة العالم ، أن أعرفه بعقلي وقلبي وجسدي . تجربة عظيمة يعقبها الجنون والعظمة . أريد النسيان .

ما أقساك !

ما أعنفك !

****

سألت سيا :

- العقل أم القدر ، المنتصر ؟
- العقل والقدر من صنعه .
- من ؟
- هو .

****

أحلق في الخيال ، فيشدني الواقع إليه بنفس القوة !! أترك ورائي تاريخاً مترعاً بالذكريات .

****

كيمت .

اصرخي . آلام المخاض ليست هينة . أنت لست ضعيفة . أنت قوية .

كيمت .

حزين علي حالك .

تقلصت أرضك في الخارج . وازدادت انقساما بالداخل . وأبناؤك ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وقاسوا مرارة اليأس والحرمان .

استيقظي من غفوتك . لم يعد وقت . أخرجي ، من أزمتك ، عملاقة . ثمة شعور بالتفاؤل يتوغل داخلي ، لا تقلقي ، قادم لا محالة .

2

اقتربت المركب من دندرة * . نصحت بالنزول إلي معبد حتحور ، ربة الحب والجمال ، ربما عندها ما يهدى هؤلاء الحائرين . ترسو المركب . في عجلة ، ننزل إلي المعبد توجهنا . وجدناه مغلقاً وعليه حارس . سألنا :

- ماذا تريدون ؟

- كبيرة الكاهنات .

- لا يوجد أحد .

- لم ؟

- ماذا تريدون ، علي أخبركم ؟

قال رخ :

- إننا نبحث عن خنوم ، ألم تره ؟

قهقه الرجل . وكاد يسقط علي الأرض . ثاب إلي نفسه :

- إنني أسخر من هؤلاء القوم الذين عن الوهم يبحثون . خنوم من ! وحتحور من ! أنها آلهة الزمان القديم ، لم يعد لها وجود . إنكم بلهاء حقاً (كاد حور يتشاجر معه . منعته) . خنوم ! أذكر إنني عندما ذكرته لأبى قال متعجباً : " خنوم !! لم أسمع بهذا الاسم .. تذكرت ربما كان بستانياً يقوم بزراعة حديقة خنوم ... فلا تثيروا ضحكي ثانية .

أرجوكم . أتوسل إليكم . لا تذكروه .

لم يكد الحارس يتم حديثه ، حتى كاد يسقط علي الأرض من الضحك ثانية .

هممنا بالرحيل . قال يودعنا :

- سلام أيها البلهاء .. خنوم .. عجبا ، بلهاء ، من يكون خنوم هذا ؟ !

وأستمر في ضحكه العنيف .

3

أشرقت رخت كشمس الصباح علي سطح المركب . أول من استيقظت مبكراً . سيا يطالع أوراقه ، لا يفارق حجرته ، يخرج قليلاً إلي سطح المركب . رخ يجلس معي في الضحى من كل يوم . يتبادل الحديث معي . أحياناً يشاركنا سيا الحديث .

---

* دندرة : مدينة في صعيد مصر ، محافظة قنا .

سيا حكيم ، طيب ، هادئ ، صامت ، من عينيه تشع الحكمة ، في كلامه الصدق .
أرتاح إليه كثيراً . خفف عنى الكثير . حور لا يحبه . لا يحب أحداً مغرور متغطرس ، لا ود معه ، بيني وبينه فراغ كبير .
سألت سيا :
- ألا تسأم ؟ !
- لولا وجوده معي لما تحملت ضجر هذه الرحلة القاتلة .
متعجباً :
- من ؟!
- من أنكرت وجوده ولم ينكر وجودك .
خنوم ثانية ، ياسيا !! شئ انتهيت منه منذ زمن موغل في القدم . ألا تسام ؟ !

4

في هذا الصباح ، علي غير العادة ، شعور قوى جمع أهل المركب . الكل خرج إلي سطحها . جلسوا ينظرون إلي النهر . أداموا النظر . تبادلوا أطراف الحديث . يخافون خطراً ما دفعهم للتجمع والوحدة ونسى الخلافات ! وتجمعوا وسط المركب . اقتربت منهم محاولاً التسرية عنهم . أخذت أقص عليهم حكايات صادفتها في حياتي الملاحية والعامة .
حكيت لهم عن قصة الثعلب الذي تنكر لي ذات مرة في صورة قط نافر وأراد الفتك بي لولا أن أعانني عليه حابى العظيم إله النهر .
انبهروا بما سمعوا . حور غائب ، شارد ، متعال علي ما أقول . أخذوا يلحون علي في سماع الجديد . سيا يستمع متأملاً . رخ مذهول مما يسمع . رخت . رخت مبتسمة تنظر إلي حور بين لحظة وأخرى . لا تنظري إليه ! انظري إلي ، ولو مرة واحدة ، ألست الحكاء ؟ ! أم هو ؟ !
يا أيها الحظ العقيم . أنجب ولو مرة واحدة في العمر شيئاً يفرح القلب الحزين ، المتظاهر بالضحك ، الملئ بالأنين . أنجب . فقلبي في شوق لفرحة الأمل ونور اليقين .
نهض حور وأنتحي ركنا وحده . يفكر . رخت عيناها عليه لا تهدأ . لا تكثري من النظر إليه . وانظري إلي ولو مرة واحدة . واحدة فقط .
كان النهر قديماً أوسع من هذا . كنا نجوب أحيانً منطقة ، ليست بالقليلة منه علي الأقدام . قلبي كان يخاف الماء والنهر والماء وعدة أشياء . حتى علمني رئيس الملاح العظيم " سجا ومرى . عشق الموت والفناء في العمل والجسارة بلا حدود . كان رجلاً ممتازاً حقاً . أين هو الآن ؟ حكى لي كثيرون أنه مات مغتالاً .

لا تعجبوا . أرى الدهشة في أعينكم . قتله اللصوص . وليس أخوه أو زوجه كما أذاع كثير من الناس . حكاية تبدو مؤلمة حقاً . لكنها طريفة .....

أقول لكم حكاة أخرى .

خرج " رن آمون " أسن موظفي معبد آمون في طيبة إلي " جبيل * لجلب ما يلزم قارب آمون العظيم من أخشاب .

سرقت نقوده في أول محطة له . فشكا إلي أميرها . فلم ينصفه . فاستمرت رحلته . قابل بعض أهالي جبيل فسلبهم كيس نقود تعويضاً عما سرق منه .

غضب أميرها لما حدث . وأمر بطرده . فلم ينفذ الأمر . ودار بينه وبين الأمير حوار . أنتهي بإرسال سبع قطع من الأخشاب إلي كيمت .

وبعد أن جهز الخشب علي شاطئ البحر جاءت سفن غريبة للقبض عليه وسجنه في أرض أمير " جبيل " . رفض أميرها أن يقبض علي ون آمون في أرضه . وأرسله بعيداً عن بلاده . فساقت الريح سفينته إلي أرض جديدة . خرج عليه أهلها ليقتلوه . فلجأ إلي ملكتها العادلة التي حمته .

وعاد ون آمون إلي وطنه بعد أن لاقى الأهوال . وأوشك علي الموت . فاشلاً في مهمته التى أرسل من أجلها ودفن في أرض وطنه كما تمنى .

حـــور

1

الصباح يشرق عبر ثغرك الباسم ، عبر وجهك الفاتن . تتحرق شوقاً للفوز بها ، لا تقوى علي البعد عنها . لحظة ممتعة ، التي تلامس فيها شفتاي شفتيك ، من كل قلبي أدعو أن تدوم إلي الأبد .

أحبك .

يا زهرة الحب القانية الحمرة ، الممزوجة بالعشق في أعنف صوره .

أحبك .

جسدك مثير ، نهداك يتفجران بالحب والنشوة ، شعرك ليل دافئ ، ساعداك أنصع من ضوء القمر ، وأناملك أزهار لوتس ندية وقت الفجر .

---

* جبيل : ميناء علي الساحل اللبناني

أنكشف عنك رادؤك ، كشفته عيناي المتلهفتان ، سحرني الجمال ، بهرني الدلال ، فخداك ممتلئتان ما أروعهما بين النساء ، لم أر مثلهما من قبل ، ساقاك شهيتان .

2

ضقت بالمركب وحالها وأهلها . ملت علي رخت ، أقترح فكرة الخروج ، أنا وهى في نزهة خلوية ، حتى تصفو لنا الحياة بلا كدر ، ونعوض ما فاتنا ونرتاح من سيا الممل ، ونتخلص من رخ العبيط ، وعنخ الثرثار ، النفس تريد دائما الصفاء والحب والحلم ..

سرت بالفكرة . خرجت أسبقها . لم تغب طويلاً . وصلتني علي جناحي الشوق واللهفة . اشبكت يدها في يدي ، خدر غريب يسرى في جسدي ، ابتسامتها الجميلة أحاطت بنا ، أشفقت عليها من السير وسط الطريق المترب ..

الصباح ندى ، النهر نبيذ رائق العذوبة . نسمة باردة تسللت إلي صدري ، فأيقظت غرائزي وأرهفت حواسي وألهبت جوارحي ، وأضفت جواً من السعادة الغامرة علي طريقي المفروش بالورود الزاهية إلي قلب رخت وجسدها . ازدادت سعادتي سعادة .

رخت معي . بين يدي . أفعل بها ما يحلو لي . ما يروق لخيال الجامح . فريسة منقادة لا تملك من أمرها شيئاً ، لا تملك أدنى اعتراض .

رخت أيصل الحلم إلي أرض الحقيقة بهذه السرعة ؟ ! وفي هذا الوقت القصير ؟ ! وكم تستغرق رحلته من وقت ؟ وكم تكلف من ثمن ؟ وكم تمنح من عطاء وكم تجلب وتبقى من سعادة ؟

3

في حديقة غناء عامرة ، وداخل جوسق من البوص تخللته أفرع شجرة عطرية باسقة ، وتسلقته ياسمينة فواحة الشذا ، قبلتها ، فانفتحت شفتاها كتينة تفتح فمها للوهج والألق وماء المطر ، ثملت دون شراب .

أشجار الحديقة كتوم .

لن تبوح بسرنا لأحد أبداً .

أيها الصباح ، ما أجملك ، بين كل الصباحات التي مرت بها حياتي . أنت ملكي إلي الأبد ، طعمك في فمي باق ، أيضاً ، إلي الأبد ، أنت شاهد حبنا الفعلي ، وأشجار الحديقة ، والهواء الذي يغرد حولنا ، ويهبنا أفضل ألحانه وأطيب نسماته وأرق لمساته .

الملكة ملكي ، أعانقها تحت ناظرتك ، بين راحتيك ، وأنت سعيد ، ، أراك مسروراً ، بلغت بك الغبطة منتهاها ، تحب العشق ولذة الحب ، وتحنو علي العشاق . كم رأيت ، وشاهدت ، وسمعت ، وحفظت .

رعشة الحب .

ما أحلاها .

أمتد ساعداى يعبثان بظهرها الطري ، لا فرق بين ظهرها وصدرها ، كلاهما ممتلئ صاخب مثير ، يهمهم بأنات أجيد تفسيرها ، أغرقني في الحب ، أذقني حلاوة العشق ومتعة الحلم .

غمرني عبير جسدها الشهي ، احتواني بين ممراته ودروبه الطويلة وعوالمه الثرية ، جعلني ساكنة الوحيد ، يهبنى كل صباح ومساء أعز ما يملك ، يطيب به قلبي ، وتطرب له روحي .

عبثت بصدرها ، نفث لهباً بهياً أثارني ، جعلني أتأجج من روعة الحلم وقسوة الهوى . يا من وضعت الطاقة في أجساد الرجال ، والشهوة بين أفخاذ النساء ، أعنى .

- في النهر أفضل كثيراً .

ذهبنا إليه . تجردنا من ملابسنا . نزلناه في منطقة غير مأهولة . قالت وهى بين أحضاني .

حبك يتسرب داخلي نبيذاً في جوف الظمآن ، يقتحمنى كالفيضان الهادر ، خضبت قلبي ، رغبتي فيك كحل عيني ، ألتصق بي ، زدنى من حبك الهائج الدافق ، أشعلنى ناراً وثورة ، حبك داخلي ريشة في مهب الريح . لكم أنعم بملاصقتي لك . غنت الأغاني ، وعزف الناي ، وغردت الفيثارة ، لأنى معك ، بين أحضانك الدافئة . خذ ذدى ، كل ما فيه يفيض من أجلك . حبي لك يغزو كل جسدي بلا شفقة أو رحمة . كم حلمت أن أنزل النهر معك ، وأن أستحم بين يديك ، وأن أغوص في الماء بجوارك ، تحملني بيديك ، شوقاً من العاشق إلي المعشق ، ومن المعشق إلي العاشق . شاهد شفتى ، ثدى ، خصرى ، مستودع الأسرار ، فخذى ، ساقى ، ردفي .. كلي لك دون سواك . أقطف الرومان من نهدى ، داعب حباته ، العق أسناني بلسانك .

لم أرحمها . أمطرتها بسيل من القبلات وفيض من المعانقات . أحسستها تتلوى بين يدي ، لينة وديعة طرية . أحطت بكنز الأسرار ، بيدي ، احتضنته بقوة وشوق ولهفة ، المستودع الأبدي للتاريخ ، خالق الخير والشر ، مدير الوجود ، مدبر الفناء والعدم ، وسبب الوجود وبلسمه .

الحب يعربد داخلي بلا سيطرة أو سلطة تحدان من حركته الهادرة . وجدت مخدعك مزيناً بكل جميل . وأنت أجمل شئ فيه ، فخذاك مكشوفتان ، مستودع الأسرار ، بينهما ، يهبط ويعلو بشوق وألم . فدخلت ولم أتردد لحظة واحدة . ولم أرحم نبض آهاتك المسترحمة .

5

- بين التلال القريبة ، سيكون شيئاً ممتعاً .

خرجنا من النهر . وارتدينا ملابسنا . ارتداء ثم تجرد ثم ارتداء ؟! علي أي حال ننتهي ؟ سرنا إلي التلال القريبة المحيطة بجانب النهر . سبقني لهفي وسبقها تلهفها . الحب يجمعنا هذه المرة بلا مؤرق . لمحت مكانا يبدو مريحاً لظهرها ، سطح صخرة مستوية بين مرتفعين ، توقفت به ، لم أدعها تلتقط أنفاسها المتقطعة ، ضممتها إلي صدري ، أغرقتها في نهر قبلاتي الحارقة ، انحلت ثيابها ، كيف ؟ ! لا أدرى !!

احتضنتها بقوة ، والشوق علي أشده داخلي ، ابتلعنا تيار دافق من العشق والحب في ثناياه ، صرنا واحداً لا إثنين ، قلبها يخفق بشدة ، لا يحتمل سطوة العشق ، جسدها اسفلي نهر في زمن الفيضان . ألهبت أنفاسي ، في هبوطى وصعودى ، صدرها ، قلبها يدعونى للمزيد ، شوقها إلي مهاراتى لا يقدر .

دفنت نفسى فيها ، أسبح داخلها ، ميناء كبيرة ، أنا بحارها الأوحد ، أركن إلي كل جزء منها بمهارة ، أثير شجنه وألمه ولوعته ، أحرك الكاهن من مشاعرها ، وأحيى مامات بفعل الإهمال ، وأصلح ما فسد بتراكم الزمن ، أجعل جسدها في حيوية فائقة ، ينتقض من سكرته ، كسمكة خرجت لتوها من الماء فإنهمر عليها المطر .

لا أكل ولا أمل .

حــور أنت افرتواء في صورة رجل . قلادة علي صدرى ، نجحت في كسبها قلباً وجسداً .

عبثت بصدرها ، ندت عنه صرخة . لم أعبأ بها ، أعلم السر وأخفي ، وإزددت سيراً في طريقى ، أغرق الأرض وأهيئها للبذر ، أغرقها بماء الحياة إستعداداً للإنبات والإخضرار والنمو .

فصل حافل بالعطاء والإرتواء .

أعزف بمهارة علي أوتار جسدها . أصابعى ذات مهارة فائقة في إستخراج الألحان المختلفة من جسدها ، عبر ثغرها حبة النبق . أعرف أين ، ومتى ، وكم ، وكيف أضغط . وأعرف ، أيضا ، كيف أريق لمساتى بحنان وحب وقت التلطيف والمداعبة . وأعرف ، كذلك ، كيف ومتى تكون الحركة من اليمين إلي اليسار ومن فوق لتحت ، والعكس . وأعرف وقت الضم والفتح ووقت الإنكماش والتمدد .

الإحتضنان لدى قاس مؤلم نغلفه اللذة والمتعة .

عبثت ببطنها الفائرة ، وإنكفت علي ثغرها أقطره بفيض من الشهد المصفي . عبثت بشعرها بجنونى الصاخب . إلتقمته بين أصابعى ألعقه .

حــور أفعل ما بدالك ، كلي ملك لك . هى ملك لي . وأنا ملك لها . عبثت بشعرى ، خصلاته جميلة ناعمة تثير غرائز النساء ، طوقت عنقى ، إحتضنتنى . أضغط أقصى ما تستطيع . إلتصق جسدى بجسدها ، إنمحت المسافات ، ترتعش من النار الحامية التى إشتعلت بيننا ، إنتفض جسدها من شدة الإشتعال . ضغطت عليها أقصى ما يكون الضغط ، حلقت في عالم آخر ، لا أرض له ولا سماء ، عالم متعة في متعة ، عالم من الحب اللذيذ غير المسبوق ، ليس لي أو لها جسد، روحان تهيمان في سماوات العشق وصبابات الوجد .

حــور أقتل الزمن في مرقده ، حتى تحلو لنا الحياة بلا أرق .

6

اخرجت النار من جبل بارد . تألقت غير عادى ، لم أعهده مع أخرى ، فتحت شهيتى بثرائها الآخاذ ، تحررت من كل قيودى ، وعبرت شاطئ همومى الخاصة ، بلا رحمة ، إلي جسدها الشهى ، لم أفكر في شئ ولم أفعله معها ، أخلصت لهذا الجسد النارى فأخلص ، ركزت في فعلي . وهبتها كل ما أملك من قوة وحب وخبرة ، ووهبتنى كذلك كل ما تملك من أنوثة وعذوبة ورقة وخبرة غير مسبوقة لأنثى .

تجاربى كثيرة .

أعلم جسد المرأة ، كبيره وصغيره . أخرج المتعة مما لا يعتقد فيه اى متعة . وأثير اللذة أقصى ما تكون في الأماكن التى مات فيها الإحساس . رغم كل ذلك تجربتى مع رخت أحسها الأولي ، ربما لثرائها المفرط ؟ ربما لجدتها ؟

7

سلمت يداك أيها العاشق الجميل .

4

الغــرق فــي فقــط

سيـــا

أيها الإله العظيم ،

المتألق صباح ومساء ،

لك التسبيح والحمد .

تخرج النور في الطريق المظلم ، لتعطي الحياة الفرخ في بيضته . تجعل النسيم الرقيق يرتفع إلي حنجرة المخزون ، فتزول أسباب كريه وغمته . بعينيك تهدى الجميع في الأوقات الحالكة .

لا وجود لشيء قبلك .

لا وجود لشيء أعظم منك .

خلقت الأرض . ورفعت السماوات علي أعمدتها الأربعة . خلقت العالم والكائنات الموجودة والتي ستوجد .

خلقت نفسك بنفسك .

أنت الينبوع ، تروى ظمأ الصحراء . الزمن الذي لا ينقضي . الحقيقة في أبهى صورها .

بهر الكون ضياؤك ،

وعمته أطيافك .

الخلائق كثيرون .

طوعت لك ذاتي .

فكشفت لي عن ذاتك .

أنت الروح .

أنا الجسد

متيم بك .

من عشق وصل .

قادم إليك يا مالك الحقيقة ، يا صاحب الجلالة .

فهل لي من نصيب .

2

دخلت علي جلالته ، فجأة ، في مجلسه قائلاً :

- يا سيدي أقيموا دولة العقل .
- سأل متعجباً :
- من يكون ؟ ! وكيف دخل ؟ ! أين الحراس ؟ !
- ليس مهماً من أنا . المهم ما هو كائن . ولا داعي للحراس .
- أمرك عجيب !

همس إلي شخص مهيب إلي جواره . فعقبت :

- إذا تركنا العقل فأيقن أنها النهاية .
- وقف ثائراً :
- أتهددني ؟!
- العفو يا صاحب الجلالة . ما أردت غير النصح – العقل هو المنقذ .
- مكابراً :
- أتعرف مصلحة البلاد أكثر منى ؟ !
- المهم من يفعل أكثر وأن تبقى البلاد .
- البلاد باقية وبخير .
- قلت محذراً آخر مرة :
- الطوفان قادم .
- لم يهتم . جلس . وأنهى المقابلة . وأصدر أوامره للفرقة الموسيقية باستكمال العزف ، وأن تستعد المطربات والراقصات . والتقت ثمرة فاكهة يقضمها . خرجت من قصره علي أيدي الحراس . والهم يملؤني .

مضى علي هذا اللقاء وقت غير قليل . وبدأ الطوفان تطل بوادره .

*****

خلق الإنسان ليجنى المتعة والعذاب .

يطوفون حول قصرك الكبير . ويقولون في حسرة وألم يتمزق لهما القلب : ليس لنا سواك .

كلماتك البسيطة أوحت لي بالكثير .

3

قال سيدي الحكيم الحبيب وأنا في مواجهته . بعد أن خرج كل من بالحجرة :

- أحذر من هؤلاء القوم يا سيا . أنهم لا يبحثون إلا عن ،فسهم .
- أمرك يا سيدي الحكمة .
- الحذر يا سيا الحذر !
- أيأمر سيدي بشيء آخر ؟
- أدعو لك بالنجاة . صادق الحذر . أجعله الهواء الذي تتنفسه .

4

خرجت إلي سطح المركب بعد أن فرغت مطالعاتي . اقتربت من عنخ الجالس علي حافة المركب ينظر إلي الماء . سر لما رآني . جلس معي . سألني دون مقدمات :

- أتؤمن بخنوم ؟
- لم ؟
- أتؤمن به ؟
- أجل .
- وحده .
- وماذا أنت قائل عن الآلهة الأخرى غيره ؟
- تجليات له – خصها بعطفه وتبناها برحمته وأضفي عليها بعضاً من صفاته هو كل الآلهة . واحد تعددت أسماؤه . خلقهم من ذاته وتعهدهم برعايته .
- جميل .
- لم كل هذا يا عنخ ؟
- أريد أن أعرف .
- تعرف ماذا ؟
- أعزف والسلام .
- نور الإيمان يشرق في قلبك ؟
- لم يجب ولمحت في عينيه شيئاً جديداً عليه . ماذا يحدث له ؟ وفيما يفكر ؟
- أيكون ما في بالي حقيقة ؟ منتقلاً إلي موضوع آخر سألني :
- ما أفضل عمل قمت به ؟
- دون شك أعمال الترميم التي قمت بها لأثار أجدادي .

طيور صغيرة تحلق فوق سطح المركب . وقف بعضها علي الصاري . نظر إليها عنخ وعمق النظر . تبعته في النظر . ذكر وأنثى . يداعب الذكاء أنثاه . تهرب منه الأنثى . وتعود . يطير الذكر . تطير وراءه الأنثى . ويعودان سوياً . يحلمان ويحبان ويبنيان .

ما أجمل الحب .

أوحشتني زوجتي .

أوحشني الأولاد .

عجل بالرحيل والعودة إلي الديار . الأحبة في الانتظار .

رخـت

1

دخل الليل . حذرت عنخ من مواصلة الإبحار في هذه الليلة . كنت أريد أن يخمد أي أثر للحياة علي ظهور هذه المركب ، خصوصاً ، والمطر وشيك الهطول ، وأن أتسلل إلي حجرة حور ، حتى يحدث ويتم بيننا لقاء شهى ، في ظل هذا الجو المغرى بالحب والعشق والدفء ، وألا يراني أو يشعر بي أحد .

رد عنخ مطمئناً : لا تقلقي .. إنني ابن لهذه المناطق ، عليم بها وببواطن أسرارها . صحت فيه من غيظي : عنخ ، لا داعي للإبحار ، الليلة ، أحمس خطراً . لم يقتنع وجهه . رضخ للأمر آسفاً : أمرك .

2

الحياة الحب مقطراً .

أردت لقاء المحبوب في رحاب مين ، خصوصاً وقفط تقترب ، منك الحيوية والخصوبة ، حتى يشملنا ببركته وتحل وتحفنا هباته ونصل إلي أقصى ما نحلم به . الكل نام . والجو مهيأ - حور سهران لا ينام . نوره مضاء . اقتحمت عليه مخدعه . نظر بابتسامة ماكرة .

ملتهبة لا تهدئين !!

وأنا أتخلص من ملابسي .

- أعذرني يا حور ، فشغفي بك لا حد له ، وشوقي إليك عارم . ألهو وأحاول الانشغال بنفسي عنك ، فلا أستطيع . أنت الوحيد القادر علي إسكات صرخاتي المتأوهة ليل نهار .
- وهو يعتصرنى بين يديه .
- سوف أقطعك .
- تقطيعك لذيذ ، والسباحة في مياهه العذبة متعة بلا حدود .

لذة .. ، نشوة .. ، متعة .. ، لا أرض تحتي ، ولا سماء فوقى، سابحة في فضاء لا نهائي من المتعة، كل تأوهات نساء العالم ، تنبعث من جسدي ، عبر فمي الصغير .. أفترض بجسدي القوى جسدي الثائر ، محاولاً احتوائي كلية .. السباحة في عالم العشق متعة .

أبرقت السماء وأرعدت. أنهمر المطر . لفنا الفراش في أحضانه الدافئة ، الحب ينمو بيننا بشراسة .

الإضاءة خافتة ، البخور يضيع عطره الملهب جسدينا الملتهبين ، حور مستلق علي ظهره ، فوقه ، أنا ، صعودا وهبوطاً .. أداعب جسده الفتى بيدي الصغيرتين .. يداعب نهدى المشتعلين ، شوقاً وحرقة ، بيدين مدربتين .

قبلت حور ، تقديراً منى للمساته الساحرة ومهاراته الفائقة . قام يسير من الحجرة ، سار خطوتين . أزاد الإضاءة . أزداد جسدي العاري نورانية . شف . ألتفت إلي . وبريق عينيه الساحر يغزونى .

(كأنه يحلم) إعدتينى إلي سنوات الحلم واللهو مع نساء منديس الجميلات . (صمت) .. (وصوته يأتى من زمن بعيد) .. في أوقات القيظ والحر ، (هائما) . أخرج للنهر . عامر بالنساء . كل ما أريد . والقلب في شوق إلي المزيد . تنفصل روحي عن جسدي ، محاولة الفرار . أتجرد مما يضجر . اللهو البريء وترطيب الجسد الأسيان ، هدفي . نزول النهر متعة . الماء يغرى القلب بدفقه عشق متواصلة . النساء بجواري . يسبحن بين يدى . كنز ثمين . يغوص ويطفو . الهو معهن . أسبح في أعماقهن . اصل القمة بالقاع . مهاراتي طافت منديس وما حولها ، قطف ثمارهن هوايتي ..

(قمت أرتدي ملابسي) .

إلي أين أنت ذاهبة ؟ ! لا تمضى والليل يثب إلي مرقده . أبقى معي آسفة :

مرة أخرى ، حتى لا يشعر ابنى بشئ .

3

أخاف من حور علي العرش ، ومع ذلك معه فريسة لا تملك أمرها .. محركي وربى الأعلى . هو نفسه يطرح العقل جانباً ويستسلم تماماً الاستسلام لتيار النجوى والهوى .. أنا كل ما يرغب ، منذ رآني أول مرة في منف ، عرفت ذلك من نظراته .. أفهم الرجال جيداً وأجيد تحليل نظراتهم . في عينيه جوع لا يشبع . كل طموحه أن تلاصق شفتاه شفتي ، وأن يعبث بجسدي علي راحته ، دون خشية ، دون رهبة ، يفعل به ما يحلو له ، دون قيد أو شرط ، وتحقق له ما أراد ، إذ فكرت فيما فيه منذ رأيته ، وأخذت نتحين الفرصة التي تجمعنا ، سوياً لأول مرة ، وها هى حدثت ، وتحدث وستحدث ..

كأن بيننا لقاء موعود منذ الأزل ، وإنفجر وقته لحظة رؤانا .

لأول مرة ، يلتقى العقل والرغبة ، معاً ، في فراش واحد ، ترفرف عليه آهات المحبة وتحيطه صرخات اللذة وتمتمات الارتواء .

*****

- حور .. أنني مشتعلة .
- مشتعل بحبك منذ الأزل .
- تدافع جسدينا ، عبر الفراش ، يكفي لتدفئه أمة .
- أعبدك .
- أعبدك .
- أتفتح أسفله . أبتلعه في جوفي المشتعل ..

- حور ما نهاية حبنا ؟
- صمتت . نظر إلي بعمق .
- ليس له نهاية .
- ليس له نهاية . عشقك أزلي أبدى . كنت أول من مارس العشق من البشر . ولم تفتك آخر فنونه .
- حور ما أمتعك !!
- حور ما أقساك !!

عنخ

كلنا ضحايا تلك الآلة العجيبة المسماة بالزمن !! كأننا مربطون في ساقية تدور ، نعمل تحت سياط القهر . آهات تتلوها أخريات في صمت محموم حافل بالهمس والصراخ .

أنقبض العالم . انهارت الأرض تحت قدمي . رأيت رخت تخرج ، في الليل الأخير من حجرة حور مسرعة ، هيئتها تدل علي حالها ، لم يرحمها الجبان . لماذا حور بالذات ؟ ! هلك قبله كثيرون ، وعجز ما لا يحصون !! ألست موجوداً ؟ ! عجز .

إلهذا إذن لم تكوني تريدين الإبحار ليلة أمس ؟ ! حتى لا تهتزين فوقه أو يهتز فوقك ؟ ! تريدين أن تحدث العملية في سهولة ويسر !!

لعوب بطبعك !!

أكتم أنفاسي حتى لا يعلم أحد . الحزن يلفني في طياته ويطوق عنقي . ثورة عارمة تجتاحني ، الهدوء ، وإلا فقدت اتزانك ..

الحياة الجنون عينه !!

نهر عظيم ، الذي يشرب منه المجانين !!

أين هو ؟

الرغبة داخلي طاغية ، ورخت لا تستجيب لنداءاتي . أعقل . أي أعقل ؟ !

العقل قمة الجنون .

لحقت بالعالم قبل الفناء بلحظة . الحياة وهو . حلم كبير لم أستيقظ منه بعد . في حلوها ومرها ، عبث ليس من ورائه طائل . الموت وهم . أمر يفرضه الطغاة علي الضعاف . الظاهرة الأبدية . لم ينج منه أحد .

أين الحقيقة ؟ !

سيـــا

5

لاحت بشاير فقط . أنقلب الجو . زمجرت الرياح . هطل المطر . أشتد . عصفت الريح بمركبنا دون هوادة أو رحمة . المركب تتقلب علي صفحة الماء بعنف تتقاذفها الأمواج يمنة ويسرة . تكاد تغرق . زاد المطر .

حور

عزف الهواء في الخارج مريداً . الغيوم تريق في الحجرة ظلمة كالليل . المكان أصبح موحشاً يثير في نفسي الرهبة ممزوجة بالكآبة .

دخلت رخت .

- الحياة صاخبة بالخارج ، وأنت نائم هنا ؟
- لمعت في عيني نظرة .
- تعالي .
- أنت مجنون !!
- أيوجد عقل أصلاً ؟!

خرجت من الحجرة بسرعة . خرجت وراءها . تعصف الأمواج بالمركب . يزوم النهر عن وجه قبيح . المطر غزير . الماء يحاصرنا بين راحتيه . همست لرخت هيا بنا : أجننت في مثل هذا الوقت ؟ ! همست سعيداَ بالفكرة : عز وقته . أخذتها من يدها .

سـيا

6

رفع عنخ تمثال إيزيس ودعاها أن تنجينا من الغرق . وأن تمر المركب بسلام ونصل إلي الشاطئ . دعوته جهراً وخفية . ورخ معنا يدعو متعجباً مما يحدث سعيداً به .

حور

2

ضمنا الفراش بين أحضانه المضطربة . اشتعلت الرغبة داخلي وداخلها . أفصحت عن نفسها . لا أتوانى لحظة واحدة عن تحقيق رغباتي ورغبتها .

- وأن غرقنا علي هذه الحال ؟
- هائما :
- حال جميلة . وغرق ممتع غير مسبوق .

سيا

7

جرف التيار المركب . اصطدمت بالشاطئ .

حور

3

الزمن يمرق أمام أعيننا كالبرق دون أن ندركه .

سيا

8

هزتنا الصدمة . أفقنا بعد فترة . وحمدنا الإله علي النجاة . الحمد للإله الذي أخرجنا للوجود من العدم . وحفظنا وجوده من العبث .

سألت عنخ ونحن علي الشاطئ .

- رأيتك ترفع تمثال إيزيس وتدعوها النجاة ، أتؤمن بها ؟
- تقليد من تقاليد الملاحة .
- أي إله أنت ؟

ما كل هذه الحكمة ؟

ما كل هذه الرحمة ؟

ما كل هذا العطف ؟

ما كل هذا الجمال ؟

أكتبنى عندك من الشاكرين .

10

مع قدوم المساء كان عنخ ومساعداه أصلحوا أشياء بسيطة عطلت في المركب . وأصبحت جاهزة للإبحار ثانية بفضل الإله . تحسن الجو . وهدأت الريح . وعادت الحياة إلي ما كانت عليه في النهر .

11

في الصباح التالي خرجت من حجرتي علي صوت حور يصيح :

- التفاحة ! أين التفاحة ؟ ! التفاحة سرقت ؟ !

اقتربت منه . وسألته :

- تفاحة ؟ ! أي تفاحة ؟ !

- تفاحتي .

تقدمت رخت مسرعة . ورخ بطيئاً . أسرع عنخ ومعه شن سمع شن الحكاية .

قال بعد أن صمت حور :

رد حور متلهفاً .

- أجل .
- رأيتها مع رن .

صاح حور :

- عنخ .. أين رن ؟

غاب عنخ . وحضر ممسكاً برن .

سأله حور مباشرة : أين التفاحة يا رن ؟

- لا أعرف .
- هآتها . وخذ ما تريد .
- لا أدرى .
- بالذوق أحسن لك .
- لم أر تفاحا .
- ضربه عنخ . بكى رن بشدة . وأمتزج قوله بدمعه :
- لم أر تفاحا .

صاح عنخ :

- أين التفاحة يا رن ؟
- لا أعرف .
- لماذا تأخذها ؟ !
- لم آخذ شيئاً .

حور محتداً :

طلع التفاحة يا رن . مصيبتك سوداء لو كنت أكلتها ؟

قال شن :

- أكيد أكلها .
- نهره عنخ :
- أخرس الآن يا شن ؟؟
- أتكتم شن . أرتفع بكاء رن :

- لم أر تفاحا . صدقوني .

قال عنخ :

- أهدأ يا سيد . كل شئ سيحل .
- كيف يا عنخ ؟ !
- أين التفاحة يارن ؟ (ونظر إلي شن) شن قال أنه رآها معك .
- نظر رن إلي شن بضيق وغضب . أخفى شن وجهه عن رن . أندفع رن كالثور الهائج نحوه ويضربه صائحاً : كذاب .. لم أر تفاحا ...

صمت شن بينهما . قال عنخ :

- رن لا يكذب .
- وأنهال ضرباً علي شن . قائلا :
- رن أخذ التفاحة يا شن ؟
- أنطق يا خلفة الأفاعي . أنطق يا بن اللئيمة . أنطق .
- ضربه أكثر . نطق شن خائر الصوت :
- لا . لا . لا . يا ريس .
- حور متعجباً :
- لا . كيف ؟ !
- كنت أريد أن أنتقم من رن لأنه لم يجعلني أساعده في رفع الخطاف وفك الشراع .
- ضربه عنخ . ركله . فأندفع للأمام مسرعاً . ينكفئ . وأخذ رن في حضنه يمسح دموعه المنهمرة كماء المطر .
- طول عمرك مظلوم مع ابن اللئيمة هذا .

حور ثائراً :

- لا داعي للتمثيل . أريد التفاحة الآن ؟
- تدخلت رخت :
- شن قال الحقيقة . رن صادق لم يأخذ شيئاً . ابحث عنها حيث تركتها . ربما سقطت في النهر والمركب توشك علي الغرق .

سألت حور :

أهدأ يا حور . أمتأكد أنه كان معك تفاحة أصلاً ؟

نعم .

ممكن تكون تخيلا في عقلك أنت فقط .

5

الفراق في طيبة

رخ

1

صحوت علي صوت أمي ، في الفجر ، يناديني . ماذا تريد ؟ في مثل هذا الوقت ؟ ! أشعر بلذة النوم عندما يراد إيقاظي ، لا مفر علي أن أصحو . صوت أمي ، عندي ، أفضل من صوت كبير الكهنة المزعج . نهضت

****

لم أتعب كثيراً بفضل أمي .

لم أبذل مجهودا ؟ أي مجهود ، حتى ولو في التفكير ، ما دامت بجواري . الفكر إجهاد للعقل . وإسهاد للقلب .

تريد أن تفتخر بي . وتحمد الإله أنى ولدت ذكراً .

حتى تستطيع تحقيق ما تسعى . ولو كنت أنثى ، لا تغلب أبداً ، حيلها كثيرة ولا تحصى .

الحياة بحلوها ومرها أتقبلها بلا ضجر. أمي تغضب كثيراً !! لا تأبه بشيء . لا يقف في طريقها شئ.

****

لم أتعلق بخنوم إلا عن طريقها . لقنتنى عقائده .

****

كما تسيرني أمي أسبر .

- طيبة اقتربت يا بنى . جهز نفسك . عرسك قادم .

طيبة المنتصرة ؟ الوصية علي كل المدن ؟ !

- أجل يا أمي . أمرك .

2

غادرت الفراش .

- بياتريس . لا تتركيني .
- أنت ظل لأمك . ولا أجد معك أي تجارب في الفراش .
- .....
- عقدت المفاجأة لساني . مضت كالشهاب البارق . اختفت . وماتت معها أحلي ذكرى في حياتي . بعدها عافت نفسي النساء ... كل النساء .

.....

- بياتريس لا تنفعك .
- أحبها يا أمي .

- كلمتي لا ترد . عروسك جاهزة .
- صمت . لم تنطق . إعتصرك الضيق ممزوجاً بالخوف . فشلت في فض غشاء بكارة عروسي يوم زفافي.
- .....

نفسي فيضان قاتل . الحزن يكويني .

رخت

1

طيبة !!

مدينة المدن . قدس أقداس العالم . مرسى الحائر وقبلة المسافر وحلم العصفور . طيبة !!

لك في القلب أكثر من ذكرى . وأكبر من حلم . وأرق من زهرة . وأنصع من أمل .

****

تطلين برأسك الضخم . يشبه دائرة يقسمها النهر إلي نصفين . يبدو الحلم وشيك التحقق . ما هي إلي لحظات قليلة ويتوج رخ سيداً للعالمين .

أجل يا عزيزي رخ . بوابة المعبد تقترب . لنصل إلي عرش العالمين يا رخ .

وليكن ما يكون . حور لا تتعجل . صبراً .

اعترضنا رجل !

- ماذا تريدون ؟
- قداسة الكاهن الأكبر .
- قداسة الكاهن الأكبر آمون ور ؟
- هو .
- أهناك شئ أستطيع القيام به ؟
- نريد قداسته في أمر هام .
- أنه يتطهر . عليكم بالجلوس في القاعة الداخلية حتى يصل قداسته .
- دخلنا . لحظات وأتى قداسته ، بعد أنه فرغ ، يحيطه الإتباع والخلصاء . تخرج منه الروائح بطريقة منفرة . جلس علي مقعده . أشار بيده . تقدمت نحوه . أخبرته بهدفنا . صاح :
- خنوم ! خنوم ! ما لهذا الزمان هكذا ؟ ! تنسون الجديد وتذكرون القديم دائماً أم أنها عادة من عادات المصريين المحببة ؟ !

- يا صاحب القداسة ، ليس الأمر أمر قديم أو جديد ، نريد أن نعرف أين هو الأمر حيوي للغاية .
- سيدي الكريم لا تغضب . ليس بإمكاننا أخباركم .
- ولم أغضب . حسناً – يبدو أن زيارتكم هذه لن تزيد شيئاً – خنوم كما يعلم الجميع كان
- يسكن الفنتين . هناك ربما تجدوه . وإن وجدتموه أرجوكم (ضاغطاً علي المقطع الأخير بشدة) .
- أن تخبرني .
- ملأنا الحزن . ونحن نهم بترك المعبد ، نادانا رجل . عرف نفسه :
- العراف نينو .
- أكمل :
- يا قوم . إنني أعلم ما أنتم قادمون من أجله : إنه دفن بين مقابر وادي الملوك .. دفنه أحد الملوك الدولة الحديثة بعد موته وانتهاء دوره .

كيف ؟ ! ثم بتوكيد :

- صدقوني . أنا لا أكذبكم الحديث .
- ذهبنا إلي الوادي . وبحثنا عن قبر خنوم الحبيب فيه فلم نجده . ضقنا بما يحدث . واقتربنا من حافة اليأس .

صاح حور :

- خنوم لماذا تعذبنا . إننا أحباؤك ؟ !
- وأنا في يأس :
- ارحمنا فقد طال البحث ونفذ الصبر .
- ورخ في ذهول :
- أجل سأكوم سيداً للعالمين .. لكن كيف ؟

2

حدث انقسام بيننا. قررت ورخ الذهاب إلي قداسته والاعتراف له بما لدينا ربما نجد عنده حلاً . بينما قرر حور إكمال المشوار إلي النهاية . قضاء تلك الليلة عند إحدى صديقاته .خائن . جبان .

معنا سيا يسير صامت . في طريقنا إلي معبد آمون ، حيث أردنا الراحة تلك الليلة . قلت لعنخ : عليك تتبع أثر حور وأن تكون أنت بحاره .. لا تجعله بغيرك . صاح : لكنى تعبت يا سيدتي من الماء والنهر وأتمنى العيش علي الأرض حياة الاستقرار . بخبث تمتمت : سيكون لك ما تريد . ولكن بعد تلك المهمة يا عنخ يا حبيبي . مسحت شعره بيدي . لم يستطع الرفض . وأردفت :

ونعيش جميعاً في هناء . أجل يا عنخ . تمتم بلا وعى : أجل يا حبيبتي . رخ وسيا يسبقانني وعنخ في المسير . قلت :

- عنخ هيا بنا نتلحق بهما .

سعد الكاهن الأكبر بعودتنا . فلما سأل عن حور . أجبته بأنه يقيم عند إحدى صديقاته . عده من الخارجين عليه . جهز لنا المقام وأكرم وفادتنا . الآن حور في طريقه إلي دار صديقته !!

حور

رخت

سألت الكاهن الأكبر بعد أن فرغنا من العشاء الذي أعده لي وله فقط بناء علي طلبه :

- لماذا لم يتزوج سيدي الأكبر ؟

مندهشاً :

- أتزوج ؟ !
- نعم .
- ولكنى الكاهن الأكبر ، حتى أظل شامخاً في أعين الناس ، فلا زواج مطلقاً .
- ولكنك تظلم كثيراً من النساء هكذا .

تبسم :

- لم يا عزيزتي ؟
- بالطبع قد أمات هذا القرار أحلام نسوة كثيرات .
- قدر يا عزيزتي . ما أقسى قرارات القدر !
- إننا صانعو قراراته . وليس هو .
- كيف يا عزيزتي ؟
- المركز بالطبع يضمن لك الوقار ، الآن ، وقد حل بالبلاد ما قد حل تستطيع أن تفعل ما تريد .
- أفعل ما أريده ؟ !
- أفهمتني يا سيدي الأكبر ؟

قهقه قائلاً :

- فلنشرب النبيذ المعتق في حضرة كبير الآلهة آمون العظيم .

يبدو أنك ستنالين ما تريدين يا رخت . التعقل كل التعلق مع هذا الأكبر الأحمق . أنشغل بك . إلي أين الهرب منى يا حور الجميل .

فأنا قدر عليك يا حبيبي فلا تحزن .

- هذا ما أبغي .

4

دخلت مع قداسته إلي قدس الأقداس . أطهر بقعة في المعبد . حيث يثوى آمون العظيم في ناووسه المقدس . فخر كبير لي . مكان لا يدخله سوى الملك أو نائبه في صحبة الكاهن الأكبر . تفضل علي صاحب القداسة بشئ كبير .

فتح الناووس – أطل علينا آمون من عليائه . النفس تروح في خشوع عميق . قال قداسته :

- إقتربى . لا مسى التمثال . إنه يحبك . يريدك . به شوق إليك . إنه يحب النساء الجميلات ولا شئ غيرهن .

إقتربت من التمثال ألامسه . والرجل علي أشده داخلي . وضعت يدى علي رأسه . رعشة سرت في جسدى . إحتضن قداسته بقوة من الخلف .

- رخت . أنت كل شئ في حياتى منذ رأيتك .
- آمون يرانا .. أيصلح هنا ؟ !

جاء صوته عميقاً في خفوت :

- هنا أفضل الأماكن .
- إنحل ثيابى ...

.....

.....

- دع جسدينا يتحاوران في صمت ، عسى أن يتعرف كلاهما لغة الآخر .
- عبد للقمر بين فخديك .
- إنهل .
- قدرة عجيبة تدفعنى لدفن نفسى في نفسك !!
- .....
- أسكرتنى خمرة جسدك .
- .....

أين أنت الآن ؟ ! بين أحضان صديقتك ؟ ! خائن !!

حـور

2

- نفرت ....
- حور . أغمرنى أكثر في جنونك .

نفرت جميلة . صدرها ممتلئ بين يدى . وكذلك فخداها أسفلي . وشعرها يتهدل علي وجهى في هبوطها وصعودها .

نفرت كيف يصبح الحلم والحقيقة شيئاً واحداً . نفرت إنسينى كل شئ .

رخت

5

- حبيبى ؟
- لا أشعر بنفسى . لا أستطيع الكلام عن شئ .. دعينى مع أحلامى ولا توقظينى .
- الفجر لاح – لابد أن تقوم لتدير شئون المعبد .
- لا – شنظل علي الوضع القائم ..
- المعبد . الخدمة اليومية للإله . آمون العظيم يرانل – الكهنة في الطريق .
- سحقاً للجميع .
- سيدي إنك تبالغ – رأسك تعرى .
- أجل . من أجلك أنت ..
- أين يوجد خنوم ؟
- لا أعلم .
- أين يوجد ؟
- في جبل السلسلة .
- فقط ؟
- ربما في أماكن أخرى .

- ما هى ؟
- لا أعلم .
- أين يوجد ؟
- لا أعلم ؟

لا أمل .

إنى مغادرة .. حتى لا أشعر أبني بشيء .

لن يشعر بشيء .. إنه مع ورت الآن وهى كفيلة بأن تنسيه الدنيا بما فيها .

6

إنطلق الصباح يعدو ، إعلانا عن بدء الحياة والعمل ، في آفاق طيبة الرحيبة .

إستيقظت علي صوت رخ في حجرتى :

- أماه ، كل هذا نوم ، أصحى .

إننى لم أنم حتى الآن لو تعلم .

- ماذا تريد يا رخ ؟
- ماذا نفعل اليوم ؟
- ككل يوم . لا شئ .

7

بعد أن فرغت من قص حكايتى لقداسته . قلت :

- هذه حكايتى بالتمام والكمال . والرجل في الشمال ليس بيديه شئ .

نظر إلي بعمق . وتناول قطعة من الحلوى . أكملت :

- وبيدك كل شئ . وعلي آمون دين قديم لخنوم لا بد من سداده .
- إندفع نحوى يقبلنى - خجلت أن يدخل علينا في مخدعه أحد – خائفة . لا تخافي .
- كل ما تريدينه وزيادة .
- كان الوقت ظهراً فأسلم قداسته نفسه للفراش . هممت بالخروج .
- إلي أين أنت ذاهبة ؟ !
- أتريد قداست شيئاً ؟
- تعالي . لا نوم بدونك .
- إبتسمت . ولم أخيب رجاؤه .

8

في المساء ، دخلت علي سيا حجرته . كان راقداً علي الفراش . تجردت من كل شئ . غض بصره . سمعته عنيفاً لأول مرة :

- إرتدى ملابسك . وأخرجى كما دخلت . لست كحور .

صدمنى الجبان . حيوتن . كيف عرف ؟ ! خاننى حور ؟ ! هزنى صوته .

كرهته بشدة . حيوتن . أردت شراؤه بجسدى فرفض الجبان . الوحيد الذي رفض . أول مرة يرفض لي طلب .

عنخ البديل . إنه عبد لسيده .

أين أنت يا حور الجبان ؟ !

تركتنى لشوقى وجنونى !

بين أحضانها الآن أيها الخائن .

تركتنى للوعتى . تعرف قدر إشتياقى إليك صبراً .

5

عنخ

1

تعقبتها حثيثاً وهى تخرج من حجرة سيا مكتبئة . سيا ليس له في الحرام . حين رأتنى أشير لها بطرف عينى – أشاحت عنى بوجهها وقالت شبه معترضة :

- ليس الآن .

أدرت وجهى راجعاً . همست بإغراء :

- تعال .

إلي حجرتى المظلمة أبداً ، دلفنا . يدى في يدها . جلال الأبدية يحتضن المكان . تجردنا . في ظلام الكون المطبق ، إندفعت أبحث عن أنثاى .

إصطدم الجسدان . ندت عنها صرخة مفزعة . إنهمرت القبلات والأحضان . سد مياه إنطلق من طول الكبت . لا صوت . يعلو صوت الآهات المغلفة بالحث علي المزيد . ظلمات هامسة تتحول إلي حركات موحية .

- عنخ . لا أحس شيئاً .
- إنتفضت من الفراش حانقاً :
- إنها مشكلتى . أحاول خداع نفسى . لكنها الحقيقة .
- لا تشعر بالضيق . حاولت مساعداتك . نحاول مرة أخرى .
- أأعجز عن إشباع أنثى ؟ !!
- قومى – إرتدى ملابسك . وإذهبى .
- إلي أين تذهب ؟
- سئمت تكرار المحاولات الفاشلة .

أنت يا عنخ يا من كنت تتباهى بتعدد غرامياتك ، وتتباهى أمامك النساء بحلاوة وطلاوة أجسادهن ، حتى يلتفتن نظرك إليهن ، أنت يا عنخ ؟ !

إصمت . قلبى يتمزق . لا تسود الدنيا في عينى أكثر من هذا . أصمت أيها اللعين . سمعت صوته . وجهك . كل ما فيك . لم أعد أطيقك . أريد الخروج عنك . إلي أين ؟ !

رخت !!

كنت بين يدى . فخذلنى ضعفي !! ضاع الحلم في دوامة الضعف !!

أيها الشيطان اللعين في جسدى ، أخرج ، أخرج أيها اللعين ، أرخج حتى يتحرر جسدى ويعود ، أخرج أرجوك ، أتوسل إليك ، أنا عبدك . عبد رحمتك .

كم أنت قاس أيها الإله .

السماء والأرض مطويات بيمينك ،

والرياح والحياة والموت !!

2

ذهبت مع سيا إلي حور عند صديقته . أخبرناه بأننا نريد أن نكمل الرحلة معه . وافق ورحب . وأحسست أنه وسيا بدأ ينسجمان لأول مرة . أرسلت رخت لحور راغبة في توديعه . رفض أن يذهب إليها . أكبرت حور في نظرى . رجل .

في صباح اليوم التالي ، ونحن علي الشاطئ نهم بالإقلاع عن طيبة جاءة رخت ورخ . أقبلت علي حور . أدبر عنها . أدار عنها وجهه . صاحت به :

- حور ، لماذا كل هذا ؟ !
- لم يجب عليها . وتركها .
- قال رخ الوديع :

- مع السلامة . تروحون وتجيئون بالسلامة . كنت أتمنى أن أجئ معكم . أمى رفضت .

جاءت معنا نفرت الجميلة صديقة حور . أحالت المركب إلي جواً من البهجة والسرور والفرحة . بدأ البرد يرحل . أصبح الجو صحواً ومشمساً . والضياء ملأ الأفق .

6

اليأس في إنــا

حــور

1

المركب بسيطة التكوين . قوية . تحملت الرحلة من منف إلي طيبة بصمود عنخ في حركة هادرة عليها . جالس تتأمل . أهو وقت للتأمل ؟ أم ندم علي شئ بدر ؟ ! لا . لا يوجد ندم قط . أنت قوى يا حور . تتأمل عنخ بعينين وجلتين . لا تثق فيه تمام الثقة – أعرف . في عينيه شئ ما لا يجعلك تطمين إليه . أعرف . أنت حور العظيم . تقدم . من يكون عنخ هذا حتى يشغل بال العظيم ؟ ! إحذر السفن العظيمة تحطمها الأحجار الصغير أحياناً . معك نفرت حاول أن تنسى كل شئ ولا تظهر أمامها شيئاً . أصمد . عنخ يقول :

- سيدي البرد يطل بظلاله . الجو إنقلب ثانية . عليك الدخول إلي حجرتك ، حتى لا تتعرض لأثره . النزول لأسفل ، أم الصعود لأعلي . هذا هو السؤال ؟
- كن في عملك يا عنخ .
- أمر سيدي . ولكننى ..
- لا تكمل . أكره النصائح (همساً) الغثة .

لا ليس نصائحكم أنتم . أيها الحكماء . لا كره لها عندى بالمرة .

أوشكت الشمس علي المغيب . القرص أحمر تكسوه ظلمة . أى ظلمة ؟ ! ناداتنى عنخ :

- سيدي العشاء يعد ..
- نزلت . عشاء . طعام . حياة الدنيويين . رحم الإله حكيمنا آمنوبى* العظيم ! أعد عنخ المائدة . جلست تنظر ونفرت إلي جوارك . أنظر إليها بل ريقها السائل وأرحم نبضها المتحرق . وعنخ بجوار سيا . فرعنا من الطعام . بدأ عنخ الحديث :
- سيدي إنك ، لا تعلم حكايتى بالطبع .
- ما هى ؟
- إننى أكره شيئين في حياتى : الحياة علي الرغم من تسميتى عنخ !! حتى أحيا علي ما يظن !! والماء وخاصة ماء النهر أخافه بشدة . ولا أعلم ما الذي دفعنى للعمل بالملاحة فيه !

- تبسطت معه عسى أن أفهمه أكثر :
- حب الحياة أو كرهها أمر يخصك لكن كراهيتك النهر أمر محير فعلاً !
- أجل سيدي ، لشدة ما سمعت عنه من أساطير تحكى عن بطشه وقوته .. في صغرى كنت أرهبه . أخافه بشدة وأذكر المرات القلائل التي أجبرت علي الإستحمام فيه وكم من مرة كلفت أمى بالتبنى بحمل الماء في لأستحم به في البيت مخافة الذهاب إليه . وكم كنت أخاف عليها منه . حتى أنى كنت أجلس أبكى خاشياً أن يبتلعها . أو أن تبتلعها تماسيحه .
- أجل إنها التماسيح . إنه سوبك العظيم . الذي أحدث في قلبك هذا .
- ربما .
- إنك تملك مشاعر عظيمة يا عنخ ولتكن إرادة الإله ولتحيا حياة أبدية مع النجوم الزاهرة التي لا تغيب .
- شكراً سيدي علي هذا الشعور النبيل .
- تحاول خداعى يا عنخ ؟ ! وقعت مع حور !!
- عنخ . قلت أمك بالتبنى ؟ !
- أجل . أمرة عانس . ريتنى .
- وأهلك الأصليون ؟
- لا أدرى عنهم شيئاً .

* أمنوبى : حكيم مصرى قديم ، عاش في الدولة الحديثة .

** سوبك : معبود مصرى قديم علي هيئة التمساح .

****

في المساء ، ضمنى صدر نفرت الحانى ، في حجرتها . ألقيت برأسى عليه محاولاً النسيان والتسرية عن نفسى . نفرت حنون إلي أقصى درجة . أحبها . لا تبخل علي بشئ – خففت عنى الكثير بقدومها معى . الكل ضدك يا حور . نفرت . وأنت تقف في العراء وحدك . نفرت . إحذر من الطعنات ، مسددة نحوك من حيث لا تدرى . نفرت . ظهرك مكشوف . وكلك مكشوف . والذئاب المحيطة بك كثيرة . نفرت صدر حان واحد فقط لا يكفي في كل هذه الدنيا الهائلة الحجم . نفرت . تهفو لملامسته ونسيان همومك فوقه . نفرت . نفرت ..

- ما بك يا حور ؟ !
- أنسينى جزعى وقلقى وهمومى وأذقينى حلو ثمراتك . أقبلي . وأقبلت ...

سـيا

1

يا أيها الإله الجميل ،

يا صانع المجد ،

يا صانع البشر ،

يا صانع السماء

أعف عنا ،

نحن الضعفاء .

الوجود معلق بين إصبعين من كفك ،

يا أيها الإله الطيب ،

يا صانه النجم ،

يا صانع القمر ،

للنور وللعاشقين ،

إصفح صفحاً جميلاً ،

عن المخطئين .

****

في عمق الليل ، إقترب منى عنخ ، وأنا مستند بذراعى إلي مؤخرة المركب .

وسألنى :

- ألم تغازلك أمواج السياسة يوماً ؟
- أجبت :
- أحب شئ إلي قلبى أن ألقاه بقلب خاشع ونفس مطمئنة .
- لم تجبنى .
- أعيش في هذه الحياة عيشة الزاهد في كل شئ عدا نور وجهه .
- صاح غاضباً :
- لم ينج أحد منا من مغازلة أمواج السياسة .
- .....

5

عنخ

1

في الصباح توقفت المركب بسبب نوم الريح . دخلت حجرة حور . لم أجده . قلت أبحث عنه عند نفرت . دخلت حجرتها . معبقة برائحة مضاجعه طاغية . أحس أنى ضاجعت إمرأة ذات مساء ، حسناء الرداء ، طيبة الجسد ، فواحة العطر ، كنفرت . يا لك من محظوظ يا حور . عنخ ؟ نعم . ما يذهب لا يعود . لا تذكرنى . كدت أنسى . ذكرنى حور الفحل الملعون ونفرت المرأة المشتهاة .

كلما طالت الرحلة ، يصعب الأمل في النجاة أو العودة . عرفت ليلة أمس . حكاية رخت كاملي من حور . تدعى أن خنوم ضاجعها !! يا لها من كذابة كبيرة !! سيا كاد يجن مما سمع . وحور يحكى الحكاية متعجباً . ونفرت تضحك ملئ فيها الملهب . شفتاها ناريتان .

****

في صباح اليوم التالي رأيت أطلال إسنا تلوح في الأفق . إقتربت من حور وهو جالس مع نفرت علي سطح المركب يتحدثان :

- إسنا تقترب يا سيد حور .
- عجل بالنهاية يا عنخ . لم يعد هناك صبر لتحمل المحاولات الفاشلة . أنت أيضا لك محاولات فاشلة . لست وحدى إذن !

- - فلنجرب .. لن نخسر شيئاً ..
- إقترب سيا . عرف الموضوع . إقترح :
- إسـنا مركز مهم من مراكز عباداته . نجرب يا حور .

لم يتكلم حور . لم يعترض وإستجاب لنظرة من عينى نفرت الفاتنتين .

سـيا

2

خلقت الذكر والأنثى . وفي رحابك إلتقيا . شكلت المولود – صنعت الرأس . وشكلت الوجه لتعطى لا ملامح . وجعلت العينين تنتفخان . وفتحت الأذنين . وجعلت الفم لتناول الطعان . وشكلت الأسنان للمضغ . وفصلت اللسان ليمكنه من الكلام . وجعلت العنق للبلع . وأوجدت العمود الفقرى دعامة . واليدين وأصابعهما لتقوم لتقوم بعملها . والقلب ليقود وأوجدت عضو الحياة للجماع وليقذف وينتفخ عند ضم الفخذين . والخصيتين اللتين يرتجف بسببهما الفخد عند الجماع ، سنداً لعضو التذكير والعملية الجنسية . والرحم لتلقى النطفة . منذ بدأت عملية الخلق . لم تتوقف العجلة عن الدوران . لذا تعبدك جميع المخلوقات * .

هبطنا علي ضفة النهر الغربية حيث إسنا . وتوجهنا إلي المعبد شاهق شق الوجود إلي وجودين : وجود إلهى ، وآخر دنيوى . يظل الوجود بفيض من نوره وجلاله . تقيم السماء فوق أعمدتها الأربعة وترفعا من الأبدية .بناء ضخم وفخم . دخلت الصالة الأمامية ذات التيجان الفخمة الرائعة. لا أحد . الكورنيش المقوس فوق رؤوسنا . لا أحد . إرتقينا درجات إلي البهو الفسيح العظيم . بعث فينا الرهبة ذلك الرواق المظلم من الجحيم . علي جدران الملوك يقدمون القرابين إليه وحده . هذا تحوتمس الثالث . وهذا آمنحتب الثالث . وهذا رمسيس الثانى العظيم لونت الشطآن بالزهور .

رفعت السماء ، وسندت القبة الزرقاء ، ونشرت النور فيها ، ساطعاً مشعاً . ثم أقمت فيها .

وبسطت الأرض فوق قواعدها ، وأضئت الأرضين بنور عينيك .

- إسـنا : مدينة في صعيد مصر ، جنوب الأقصر ، محافظة قنا .

من أجلك يتجلي الوجود .

من وجود تنهل الكائنات وجودها * .

الملك في صحبة حورس 2 والإله يسبحون شبكة صيد مليئة بالطيور المائية والسمك بينهما يراقبهم تحوت 3 .

ملأت الأرض بجمالك . أنت الضياء تنبع حيث تشاء .

ما من عمل بدونك . جئت بالآلهة إلي العالم ليملأوا الأرض * .

الصالة الداخلية . لا أحد . قدوس الأقداس . لا أحد . أين ذهب الكهنة ؟ !

أين ذهبوا ؟ ! أين ذهب البشر ؟ ! أين ذهبوا ؟ !

****

في طريق العودة إلي المركب . كانت حالة حور سيئة للغاية . ركبه اليأس والهم . حاولنا التفريج عنه . لكنه لم يكن يريد أن يستمع لأحد حتى صديقته نفرت .

حــور

2

في المساء دخلت . حجرتى . نفرت .

- حور . ما بك ؟
- لا شئ .
- كل هذا من أجل أنك لم تعثر علي شئ يهديك في إسنا ؟ !
- لا شئ .
- حالك يقلقنى يا حبيبى . ما بك ؟
- لا شئ .

* نص مصرى (نقلاً عن كز لالويت : نصوص مقدسة .. ، مج2 ، مترجم ، القاهرة 1996)

1- أشهر فراعة مصر القديمة علي الإطلاق وأعظمهم شراء وملكاً وفتوحات حربية .

2- حورس : ابن إيزيس وأوزوريس ، صقر السماء والأفق .

3- تحوت : إله العلم والمعرفة والحكمة .

- جلست بجوارى . وأنا غائب تماماً عنها . ماذا يا حور حقيقة ؟ ! غضبت من رخت ؟ نعم . لهذا الحد ؟ ! هذا لا يجوز ؟ ! اتحبها يا حور ؟ لا إذن ما بك ؟ ! لا شئ . كيف ؟ ! إقنعنى ؟ ! لا شئ . قلت لا شئ .

- حور فيم أنت سارح ؟ !
- لا شئ .
- حور . كل ما أقول لك شيئاً تقول لا شئ . ألا تعرف شيئاً غير لا شئ .
- لا شئ .

- غنت . رقصت . محاولة الترفيه عنى . غائب عما يدور حولي . أحس أنى أحادث شخصاً وأرى شبحاً . ماذا أقول وماذا أفعل وماذا أرى ؟ لا شئ .
- حور ألق برأسك علي صدرى .

ألقيت به . أنهمرت في بكاء عميق . هلعت لحالي .

- حور .. حور !! ما بك ؟ أنطق لا تفزعنى عليك .
- ضللت الطريق .
- أى طريق ؟ !
- تاه طريقى إليه . ومن ثم طريقى إلي العرش . إلي المجد . ونجحت رخت . نجحت . نجحت إمرأة . وفشلت أنت يا حور !! أصمت .

عنخ

2

حال سيدي حور شئ للغاية . غرق في صمت تام . ماذا حدث له ؟ ! لا أدرى . قرأ عليه سيدي سيا كل تعاويذه المنجيات . ربما يكون فيها الشفاء . وحور علي حاله لم يتحسن . سيا يتعجب . حزين علي حاله حقيقة . ربط بينهما هم مشترك . لا أدرى ما هو . نفرت معنا ومعه لا تفارقه . تسهر علي راحته . تسأل سيا . وتعود تصنع ما يأمر به . الأيام تمر . وسيا دمعه لا يفارق خديه منذ ألم الضيق بسيدي حور . وملأ المركب حزن عميق علي حال حور تسرب أثره إلي شن ورن الضاحكين دائما . إزداد إكتئاباً . حور إرجع كما كنت . أرجع .. أوقفت المركب في إسنا الخزينة . منذ مرض حور . لم نحاول تركها حتى لا أشعر بأى ألم أو تعب أو دوار يسببه له الإبحار . ذات صباح . قال سيا :

- إقلع يا عنخ .
- سيدي سيا ، ماذا تقول ؟ !
- ما سمعت .
- والسيد حور ؟
- لو تركنا إسنا سوف يعود إلي حالته . في تركها الشفاء .
- أمرك .

وافقته نفرت الجميلة . وسارت المركب في طريقها المرسوم نحو الجنوب . لم يعد هناك أمل كما قال سيا سوى في الفنتين . هى الأمل . وهى النجاة . كلما طالت الرحلة صعب الأمل في النجاة أو في العودة . حرر . عد يا حور . عد أرجوك . لا تزدنى إكتئاباً . لا تفسد بهجتنا الكاذبة .

7

الأمل في الفنتين

حـور

1

- حور ؟
- نعم .
- أنت الذكر المبارك ، حامى أبيه ، فلا تيأس .

- أجل

****

لاحت تباشير الصباح . الفنتين الجميلة تتهادى كطفل وديع في مهده . مرحباً بك يا موطن خنوم أبى الآلهة أجمعين . يا ترى أأراه أخيراً ، أم علي وجهى أظل هائماً ؟ صافحنى عنخ لدى ظهورى علي سطح المركب في الصباح الباكر . البهجة والسرور بلغت حدها الأقصى بشن ورن عند رؤيتى خارجاً من حجرتى في صحبة نفرت . عادت الحياة السعيدة للمركب مرة أرخى . كم أحبنى هؤلاء ، وأحببتهم ! سيا ، دائما أنت هكذا ياس يا ، الجنى المجهول في أى عمل تقوم بالحد الأقصى من العمل ، وساعة التاكريم والمكافأة تختفي . أين هو ؟

- في حجرته ، يرتل أوراقه ، ويحمد الإله علي نجاتك .
- ما أطيب قلب سيا !
- تريده ؟
- نعم .

جاء سيا يتعثر في خطاه . لا شئ يا سيدي حور . إنه الواجب . واجب ! أى واجب ! إنه ما فعلته يا سيا يفوق أى واجب . إنه إقترب من حد الفداء والتضحية .

- شكراً يا سيا .
- الشكر كل الشكر له وحده ، هو المتاع المناع ... الشافي المعافي .

- الفنتين : جزيرة في النيل في مواجهة مدينة أسوان .
- إيزيس : الإلهة الأم ، أم حورس ، زوج أوزريس ، أشهر إلهات العالم القديم ، عبدها الأغريق والرومان .

2

الفنتين . مدينة الحدود . بداية البداية . وحاضرة الأقليم الأول . المدينة القلعة . المحصنة بحماية خنوم . قلبه الخافق بالنور والضياء ، والعشق والصفاء . المدينة المعلقة . جعل فيك منابع النهر ، التي لا قرار لها ، يتجفق النهر من العالم السفلي إلي الأرض ، عبر كهفين ، لا يفتحان إلا بأمره ، يفتح يديه فتنساب المياه منهما ، نصفها إلي الجنوب ، ونصفها الآخر إلي الشمال .

يا رب المياه الباردة .

رب لكل الجنوب من البلد ، تشترك معك إيزيس كأم حامية ترعى أبناءها حتى يكبروا .

يا نسمة الضوء المبددة ظلام الوجود والنفوس إهد إلي طريقى .

حكي لي سيدي كبير كهنة منديس قائلا :

حدث في عهد الملك زوسر العظيم بانى الهرم المدرج ، مجاعة كبرى ، إستمرت فترة طويلة ، عز الفيضان سبع سنوات ، نقص محصول القمح ، وإنعدمت الخضروات ، وكذلك الطعام ، وسرق كل شخص جاره ، لا شئ بالشون سوى الهواء ، كل شئ في حالة من الخراب .

حزن قلب جلالته ، وهو جالس فوق عرشه العظيم ، وتألم بسبب هذه المصيبة الكبرى .

وأراد جلالته أن يتحرى الأصول والأسباب لما حاق ببلده من خراب ، فإستدعى رئيس الكهنة المرتلين 2 . الحكيم 3 العظيم ، وطلب إليه أن يتعرف علي منبع النهر والإله الذي يجمع ماءه .

فأختلي إيمحتب العظيم بمخطوطاته ، وعاد إلي الفرعون يخبره بأن ثمة بقعة طاهرة ، تسيطر علي النهر والنبع تسمى الفنتين ، وهى المهد الذي ينشأ الفيضان عنده ويتجمع . ولما سمع زوسر هذه الفتوى سارع بتقديم الأضاحى والقرابين لأرباب وربات الفنتين . ولما جن الليل عليه رأى الإله خنوم فيما يرى النائم يحدثه جهرة ويقول : أنا خنوم خالقك ، أنا من يرسل يديه من ورائك لأكفل لك التأييد وأهب بدنك العافية ، أنا الذي أوجت اليابسة ، ووهبتك أحجار الجرانيت منذ القدم ، فشاد الناس بها المعابد وجددوا بها المتهدم ، أنا نون العظيم الموجود منذ الأزل ، أنا الفيضان الذي يرتفع حيث شاء .

أفاق الفرعون من رؤياه ، وآمن بأن صاحب السيطرة الحقيقية في منطقة الفنتين هو خنوم دون غيره . وأعتزم أن يوقف خيرات المنطقة لصالحه وحده وأن يجعل لمعبده الحق في تحصيل ضريبة من صيادى السمك والطير وكل من يعيش من نتاج النهر وكذا من عمال مناجم الذهب وقادة القوافل الذين يعودون بطريق الفنتين من الصحراء .

1- زوسر : صاحب الهرم المدرج الشهير في سقارة ، من أعظم ملوك الأسرة الثالثة والدولة القديمة وعصر بناة الأهرام .

2- إيمنحتب : المهندس المعمارى العبقرى ، الذي بنى هرم الملك زوسر ، أول بناء حجرى في التاريخ ، إستخدم فيه الحجر علي نطاق واسع ، حكيم وطبيب أيضاً ، ألهة الإغريق ، وأعتبروه إلهاً للطب . كان وزيراً للملك زوسر .

وأصدر جلالته مرسوماً خاصاً ، خاطب فيه خنوم قائلاً :
جعلت حدك الغربى جبال مانون ، وحدك الشرقي جبال بخت ، من الفنتين إلي المحرقة 9. ميلاً ، بما في ذلك الضفة الشرقية والغربية ، من أراضي الزراعة وضروب الصحراء ومجري النهر وكل مكان يقع في دائرة الأميال المذكورة سابقاً * .

****

وماذا حدث بعد ذلك يا سيدى ؟
رضى الرب . وأتى الفرج . وإزدادت البلاد إنتعاشاً .
وإستدرك سيدى كبير الكهنة :
أرأيت يا حور كيف كان خنوم عظيماً ؟
رأيت .

****

يا من أنقذت زوسر في القدم ، أنقذنى الآن .

4

نزلنا بالجزيرة الجميلة . قطعة من الجنة .بقعة من روحك الطاهرة يا خنوم . خلقها لنفسك ولم تحرم الخلق من التمتع بجمالها . يحضنتها النهر في عشق أبدى ، لا يريد الإنفصال عنك أبداً . بخر النهر يتصاعد . يغشى الجزيرة المغلفة بالسحر والضياء ، الممزوج بالغيوم الهادئة .
تركنا رصيف الهبوط والإرساء والإقلاع . إلي عمق الجزيرة . شعاع الشمس إرتفع . إهتزت الزهور لضوئه . ترقرت قطرات الندى متراقصة فوق الأغصان والأوراق والأزهار . فراشات كثيرة تحط علي الزهور بعذوبة ورقة تمتص رحقيها . تطير لدى رؤيتنا . أقلقنا مسيرتها الأبدية البارعة .

* عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ج1 ، القاهرة 199. .
ص 312 - 313 ، (بتصرف) .
جيمس بيكى : الآثار المصرية في وادى النيل ، ج4 ، مترجم ، القاهرة 1987 .

ذهبنا إلي معبده الرئيسى . المعد متواضع للغاية لا يليق بقدر خنوم أو عظمته . هو دائماً هكذا يحب التواضع إلي درجة الرثاء . همنا علي وجوهنا . لا أحد يدلنا لا شئ . لا وجود له . كيف ؟ أبعد كل هذا . يبدو أن القلق سوف يعاودنى ثانية ؟

قابلنا رجلاً قميئاً مصادفة . إصطدمت به . لم أره . صاح :

أنظر أمامك جيداً .

نظرت حولي أبحث عن الصوت . بعد عذاب إستطعت تحديد مكانه . بعد أن أقلقنى صوته .

سألته عن خنوم . قال / عله يسكن أعلي الجزيرة ، أسفلها لا شئ ، لا يحب المراسم ولا الرسميات ، إنه شعبى يعيش بين الحفاة والعراة ، كنت أراه دائماً المميز لا أستطيع وصفه . يفهم منه أنه خنوم .

5

صعدنا إلي أعلي قمة الجزيرة . لم نجد شيئاً . أخبرنا رجل ضخم بأنه هناك شجرة مباركة يظهر تحتها الإله عند الغروب . بعد أن يكون قد عاد من أسفاره المتعددة . يلتقط تحتها أنفاسه ويحصى ما صنع بيومه ويخطط لغده . هذا هو خنوم .

ذهبنا إليها ومكثنا تحتها وقتاً طويلاً . أوشك الليل علا الإنتهاء . لم نجد شيئاً . لغز كبير تاهت فيه العقول .

6

جاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، لما علم بحكايتنا ، أستقبلناه في المركب في الصباح التالي ، قال :

يا قوم لا تقلقوا ، صدقونى . دفنته بيدى (وهو يشير إلي يديه) هاتين منذ زمن لا أذكره . ولكن تصدقونى تعالوا معى ، إلي بيتى ، حتى تروا عجلته التى كان يشكل عليها البشر من الصلصال ، أيها الإله الفخرانى تشكل البشر علي عجلتك الساحرة ، وتتركهم يشقون في البحث عنك ، إحتفظت بها للذكرى . وتدر علي ، الآن ، دخلاً ليس بالقليل . في قبة الهواء كان قبره موجوداً . لا أثر له الآن ، بفعل الزمن إنقضى كل شئ .

صاح فيه سيا ، لأول مرة يصيح !! :

كذاب .. كذاب ..

- تعالوا وشاهدوا بأنفسكم .. وإن كنت كاذباً معكم الحق وأنا المخطئ .

عقب سيا :

- هذا الرجل كذاب .

قال الرجل :

- دائما أنت يا خنوم هكذا ، ترهق من يبحث عنك ، وتأتى من لا يبحث عنك ، عجيب هو أمرك حقاً !!

7

ذهبنا معه . نفرت تخفف عنى خائفة أن يكون كلام الرجل صادقاً . لم أصدق ما رأيت . العجلة موجودة بالفعل ، والمشاهدون كثيرون جداً . في طريق العودة إنتابنى الشك . هل الرجل صادق ؟ ! أم سيا الصادق ؟ رفض أن يأتى معنا . ومكث في المركب مؤمناً به إيماناً لا تزلزل . أين الحقيقة ؟ قلبى يتمزق . وعقلي يشك .

8

قال سيا وهو في إستقبالنا :

- هذا الرجل كذاب يا حور كذاب . إن الحقيقة الأولي والزمن لا ينقضيان .

لم أجب بشئ .

- صاح سيا منبها :

* قبة الهواء : مقابر نبلاء وحكام أسوان ، زمن الفراعنة ،

وتقع علي البر الغربى ، أمام مدينة أسوان .

- حور إياك والشك . لو تسرب إلي قلبك فأيقن أنها النهاية ، لم يمت . لم يمض أصلاً .

وإستدرك :

- فطرت علي الإيمان قبل أن أكون وبعد أن كنت . وكن أنت كذلك .

عنخ صامت . خائف من شئ ما . يخشى أن أعود إلي حالتى الأولي علي ما يبدو . لا يا عنخ لا تقلق . الضربة الأولي قوت من الجسد النحيل والنفس الضعيفة . بدأ العقل يتحرك . ومنذ بدأ تحركه . فلا فشل بالمرة . والنهاية المأمولة ستأتى إما بالقوم أو بالرضا . ولتكن الإرادة وليكن الإنتصار ولتحل البركة وليشملنا في رحمته .

9

في المساء شملنى عطف نفرت بسخاء لم أتلقاه من قبل ، محاولة التعويض عما فاتنا من الشهد المصفي والعسل المقطر .

- قلقان يا حور .

- لا تهتمى . حور قوى . لا يضعف أبداً .

.1

وإن عجزت عن طريقه . فسأذكر لك ما لم أستطع ذكره في منديس . لم سآتيك في المنام ولتكن الهداية .

نمت . تحايلت علي النوم . لماذا لم تأتت يا سيدى كبير الكهنة ؟ ! أليس هذا كلامك ؟ ! عندما تحل بى أقصى الشدائد ؟ ! لقد حلت بى منذ فترة . أنقذنى من وهدة السقوط وحملة التردى . نمت .

الكبير يأتى . لا يستطيع . هذه بوادره . أليست هذه سحنته ؟ تظهر وتختفي . بالطبع هو آت .

لا أسمع صوتاً . لا . أسمع صوته : أجل يا ولدى إنه في فيلة ، أبحث عنه عند الركن الغربى منها ولا تخف من الأرواح الخالدة التى هناك تهيمن ولا تنس أناشيده وأنت ذاهب .

11

الصباح مشرق عبر وجه نفرت الجميل . عنخ ومساعداه في حركة دائبة إستعداداً للأبحار . سيا يجلس وحده يتأمل . وشن يرفع السقالة . جاء رجل يقول :

- أريد السيد حور .

إستقبلت الرجل في حجرتى وحدى . قال بعد أن جلس :

- لا تصدق ما حدث في قبة الهواء ، إنها لعبة لا ثنائك عن هدفك .

- من أنت ؟

لسن مهما . إنه في اعلي البلاد ، في فيلة ، يعلم الناس ، ويرعى مصالحهم ، هذا هو خنوم ، رأيته في الموسم الماضى .

- متأكد ؟

تأكدى من أننى معك .

* فيلة : جزيرة جميلة ، أعلي النيل ، جنوب أسوان ، كان بها معبد رائع للإله إيزيس ، نقل إلي جزيرة " إيصيليكا " .
حفاظاً عليه من ماء النهر ، ضمن مشروع إنقاذ آثار النوبة .

8

الراغب فيفيلة

حـــور

1

تقريباً وصلت فيلة . كتلة الصخر المختلطة بدماء الغدر والخيانة ، تراكم طمى النهر السود القائم محاولاً أن يدفن الحقيقة وينسى الماضى . البقعة المقدسة التى دفن فيها أحد أعضاء جسد أبيك أوزيريس الممزق يا حور . الإنتقام واجب يا حـــور . الفداء لا مهرب منه . أوزوريس أبوك يتألم في مرقده . إنتقم . كبرت يا حـــور وأصبحت رجلاً وتحول سهم الخيانة إلي أفكار ومؤامرات . حاول أن تفهم الموقف . وتستنتج النهاية . وتبدأ قبل أن يسدل الستار . لتقتحم القدر في عقر داره . وتسدد له طعنة صائبة في عنقه لا نجاة من بعدها أبداً . حور مستعد ؟ أجل . متى تبدأ ؟ بدأت بالفعل . قبل أن يخط البدء علي وجه الحياة . جميل . وصدرى ملئ بالصراع . والحقد يغلي له رأسى . ويدى قوية عفية لن تعجز عن توجيه ضربة مباغتة لحقيقة واهية . أقتل يا حور . أضرب . أطعن . لم يعد وقت للتأمل . ثوان قليلة وتحسم النهاية بضربة من يدك . أو تكون نهايتك علي يد أخرى تعلمها جيداً . معى ؟ معك . مائة في المائة ؟ بل أكثر من هذا بكثير . إتفقنا .

خنوم سيد فيلة . رب الوميض المندفع كالسهم معك . أمك إيزيس سيدة فيلة معك . شاركهما السيادة .

الأشجار والورود وأشجار النخيل تتمايل برؤوسها الحقيرة محاولة حجب الحقيقة فيلة صخورك الضخمة ، أخفت الحقيقة لمصلحة من ؟ سرنا في طريق المعبد . يا له من يوم غريب أشرقت شمسه ولن تغرب . اليوم ! اليوم لحظة فارقة في زمن يقترب من الإحتضار .

الصرح كبير . لا كبير غيرك . المسلتان أمامه جميلتان . لا جميل غيرك . البوابة ضخمة . أنت كل شئ . لا شئ غيرك . تلوح في الأفق شاهدة علي إندثار الحقيقة المطلقة في زمن الوهم والغفلة والهيام المتناهى . علي العتب الملك يتذلل أمام خنوم . أدخل إلي ساحة الفناء المفتوح ذى الأعمدة ذات التيجان الزهرية وسعف النخيل .. كم أحيا وكم أمات . أنظر بين الأعمدة ستائر حجرية متوجه بأفاريز من الحيات المقدسة علامة الصحو واليقظة والخيانة .

تعلم يا حـــور . العتب يتكئ علي الأعمدة حتى لا تبوح بالسر . أنبش الأعمدة . أدفن يدك في بطنها سوف تبوح لك بالسر . عند أمك إيزيس الحقيقة المطلقة .

ميلادك في أحراش الدلتا في أدغال البردى مسجل علي جدران المعبد . طفولتك مسجاة . أمك تهرب بك بعيداً عن عين عمك الشرير ست حت لا يقتلك . تخفيك في أحراش الدلتا . البقرة حتحور ترضعك .

أنظر أنت متوج بتاج كيمت المزدوج ، تاج الشمال وتاج الجنوب . أمك إيزيس تحملك بين يديها ترضعك . ألق نظرة بعيداً . أمك تجمع أجزاً أبيك أوزيريس الممزقة . أقترب قليلاً . أمك تحمل بك من أبيك أوزيريس العظيم . أبتعد كثيراً . أبوك أوزيريس يحكم العالم بالعدل والخير يعم والحكمة لها مثل أعلي . تقدم قليلاً . عمك ست يحقد علي أبيك . يدبر له مؤامرة لقتله . يمزقه إرباً إرباً .

ست الهدف . الشر مجسد في شخص . أقتله يا حور حتى تتخلص الإنسانية من معاناتها الأبدية أجتز رواق المعبد . السقف مزين بنجوم صفراء علي أرضية زرقاء . أين الوهم وأين الحقيقة ؟

أدخل الهيكل . لا شئ يفصلك عن أبيك وأمك . إحتضنها بقوة حتى تبتعث فيك الحياة مرة أخرى . وأنج بنفسك من كل هذا الحمل الثقيل الذي تحمله وحدك .

- إلي أين أنت ذاهب ؟
- الهيكل .
- ممنوع .
- أتمنعنى !! ألا تعرف من أكون ؟ !
- من تكون يعنى ؟ ! الملك ؟ !
- أعظم .
- لقد جننت .
- أننى حور . أين إيزيس .
- أى أيزيس تقصد ؟
- ربتكم المقدسة .
- عاقل أنت أم مجنون ؟
- في مهمة العقل والجنون .
- أذهب حالك .

- سوف أدخل ولن يمنعنى عن أمى أحد .

حاولت إقتحام الهيكل . منعنى أحد الحراس بالقوة . الويل لكم كل الويل . سوف تخسف بكم الأرض عندما تعلم ما حدث لأبنها في معبدها . حور يمنع من زيارة والدته والبكاء بين يديها ؟ ! الرحمة أيتها السماء ؟ ! الرحمة !! أتيت إليك يا أمى . منعنى الكلاب من إجتياز الباب . أمى . خاطرى مضطرب . قلبى يضطرم بالعنف . سأدق عنق من يقف في مواجهتى . كررت المحاولة . وقف كبير الكهنة في وجهى . كدت أخنقه . أنقذه من بين يدى سيا . شئ يهدى إلي طريقى المفقود . علي أى أرض تحط قدماك ؟ سابح أنت في الفضاء . السماء

ملبدة بالغيوم . الوجود أصبح عدماً . وأصبح العدم أغلي من الياقوت . أضرب يا حور أضرب . هزنى صوت سيا وهو يهزنى بقوة :

- حــور .. أعقل يا حور أفق يا حور .

تلفت حولي . ماذا يحدث ؟ ماذا فعلت ؟ ماذا جنيت ؟

- كدت تقتلكبير الكهنة . إعتذر له .

أقتله ؟ كيف حدث هذا ؟ ماذا حدث لك يا حور . قل لي ماذا حدث ؟ شخص ما يجيبنى ؟ أجننت ؟ ربما .

- أعتذر له يال حــور .

أين هو حتى أعتذر له . أين هو ؟

أقتربت من كبير الكهنة .

أعتذر يا حــور .

قبلت رأسه . تذكرت . كدت أخنقه . خلصه من بين يدى سيا .

- مجنون يا حــور مجنون !!

ســيا

1

هدأ حــحور بعد فترة غير قليلة . جلسنا في حجرة كبير الكهنة . نستسمحه . كان الرجل واسع الصدر تقبل ما حدث . إعتذر له حــور . عرف الرجل هدفنا . فقال والحسرة تملؤه :

لم يكن معبده علي النهر يخاف علي أحد . نلمحه من بعيد ونسعد برؤيته . وتملأنا الرهبة حين نفكر في ذاته .

نذكر له عظيم فضله علينا وعلي بلادنا . فيخفت الشعور برهبته . ويملأنا الإحساس برحمته .

يحكى أهلنا الأقدمون أن نشأة الوجود بدأت هنا ، في فيلة ، كان العالم محيطاً أزلياً عظيماً ، لا حس فيه ولا حسيس ، وبزغ جزء من الأرض كان هو . وخرجت منه بيضة . كانت هو ، وخرجت منها زهرة لوتس . كانت هو . تفتحت بتلاتها مع شروقه الذي سطع بنوره علي العالم . وكانت الحياة وهبة يديه ، ومجتلاه السحرى الذي خلق فيه كل شئ .

أبو الآباء وأم الأمهات .

ينبع النهر من تحت قدميه .

لم نفاجأ بوضعه هذا وإختفائه ، كثيراً ما فعلها ، يظهر ويختفي ، ما دام الإيمان به كامناً ، فلا شئ يهم . إنه موجود بظهوره وإختفائه . بمنحه ومنعه .

2

في المساء قال لي عنخ :

- هذه الرحلة لي بمثابة التطهير .
- مم ؟ !
- من كل شئ ، حتى الحياة نفسها .

قلت له برفق :

- لا تفكر في النهايات ، ما دامت لم تجتز البدايات .

وسألنى مندهشاً :

- ألا زلت تؤمن به ؟ !

لم أنطق . إستمعت إليه أكثر .

- لم ؟ !
- ماذا تريد ؟ !
- أريد أن أعرف ...
- كما أننى لم أجبرك علي الإيمان ، فلا تجبرنى علي الكفر .

5

عنخ

سألت سيدى حـــور قبل أن يأوى إلي فراشه الممتع . نفرت الجميلة :

- ربما يكون خنوم هذا تصوراً في عقلك أنت فقط ، وليس له وجود في الواقع .

نظر إلي بنظرة ليس لها معنى . ودخل حجرته .

حـــــور

2

قالت نفرت وأنا علي صدرها أحاول النسيان :

كان هناك شاب جميل ، قوى ، فارس خطير ، إسمه حـــور ، أحب فتاة فاتنة الجمال ، إسمها نفرت . وأحبته . عرف والدها الحكاية . وأنهما يتقابلان من ورائه . رفض حبهما البرئ الطاهر . أخفي أبنته في مكان بعيد . في هذه الجزيرة . أتعرف ما هو ؟

- ما هو ؟

- معبد إيزيس .

وحبسها في هذا المعبد ، عند الإلهة الأم إيزيس العطوف ، ليبعدها عن حبيب القلب حـــور الجميل القوى . لم ييأس حـور . راح يبحث عن اميرة قلبه نفرت الجميلة في كل مكان . سار يسأل الناس ولا أحد يدله عليها أو حتى علي مكانتها . يعطف علي الحيوانات في الصحراء وفي كل مكان . وفي يوم وصل به الشوق والبحث إلي هنا . وعرف أن أميرته في الجزيرة . كيف يصل إليها ؟ كيف ؟ قال لنفسه : سأتصرف ماذا فعل ؟ قل معى ماذا فعل ؟

- ماذا فعل ؟

وجد تمساحاً يسبح في النهر مختالاً ، ناداه ، جاء إليه التمساح ، طلب منه أن يركبه ، حتى يصل به إلي الجزيرة .وصل الجزيرة وقابل الأميرة . وحكى لها حكايته وقصة بحثه المضنى عنها.

- حـــور نمت ؟

- معك .

9

الصخب في طيبة

5

عنخ

1

شقت المركب طريقها وسط النهر إلي طيبة الحبيبة . وصلنا طيبة بعد أيام قليلة الحر بدأ يشتد . والشمس أصبحت حارقة والجو نار قاتلة . أقام حـــور عند نفرت في بيتها . وذهبت وسيا إلي رخت ورخ للإقامة عندهما . أوحشنى رخ كثيراً .

2

أخبرت رخت بكل شئ . في نهاية اللقاء قالت :

- أهذا كل شئ ؟
- كل شئ .
- لماذا لم تخبرنى بما حدث لحور في معبد إيزيس في فيلة ؟
- شئ غير ضرورى .
- عنخ .. ألا تنس سرك معى ، في بئرى ..
- أعرف ذلك جيداً .
- أريد حـــور الليلة .
- الليلة ؟
- الليلة .

3

هددت بفضح سرى .

السخط والرضى . الحزن والفرح . الكراهية والحب . الوجود والعدم . اللذة والمرارة . الألم والمتعة . الخفاء والتجلي . الغور والفور - الذل والكبرياء - الخفض والرفع .

أفعل شيئاً يا عنخ . لا تقف مكتوف الأيدى . تاريخك الملئ بالخطايا والآثام مهدد بالسقوط .

5

رخـــت

1

أتفقت مع قداسته علي كل شئ . الحظ يزدهر في لحظة واحدة لا تأتى كثيراً . يأتى حـــور للإتفاق وإنهاء الصراع وإقامة الوفاق .

2

غفوت قليلاً ..

عصفور أخضر يطير فوق نار حامية ، إحنو عليه ، يهز لي ذيله . إبتسم . ملأت إبتسامتى ثغرى ، حركته تزداد سرعة ، يخفق قلبه ، يطبع قبلة ، فوق ثغرى . يحاول الطيران ، يتوقف جناحاه . عاجزان ، يسقط في النار .

أقوم مفزوعة ...

إنفتح الباب المغلق ، دخل ملثماً مسرعاً ، لم أستطع الصياح ، كتم أنفاسى ، وحش فوقى ، قوة الألم تعتصرنى ، وخوفي لا يقدر . لا زالت قوة الألم تعتصر قلبى ، ينزف بشدة ، لم يندمل جرحه .

.....

زوجة أبى : خنوم .. من يا فاجرة ؟ ! كذابة .. ممن أتيت به ؟ ! صمت . ماذا أقول . حفنى الناس في مدينتنا بالقداسة . فبدأت الحكاية .

حـــــور

1

جاءنى عنخ عند نفرت . وأخبرنى بأن رخت تريدنى في المساء . لا أريدها . ماذا تريد ؟ أذهب ولتر ماذا تريد ربما يكون في صالحك .

رخ

1

في الغروب قال لي عنخ :

- أمك تخون ذكرى أبيك خنوم العظيم .
- ماذا تقول ؟ !!
- ومع من ؟ !
- من ؟
- فكر ؟
- تكلم .
- مع حـــور .
- كذاب !!
- الليلة علي موعد غرامى معه .
- كذاب !!
- .....

2

أختبئت في حجرة أمى دون أن تدرى .دخلت أمى الحجرة . نفرت خفيفة علي باب الحجرة . دخل حور . يا للخيانة !! الح باق بيننا للأبد !! خون خفقة واحدة ويتوقف قلبك عن الخفقان للأبد . لا تزدنى هموماً فوق همومي ، فصدرى بها ملئ . رأسى في الوحل ..في المأساة .. في الجريمة .. الجريمة ..

حـــور

2

علمت من عنخ بما دبرت رخت مع الكاهن الأكبر . أعلمتها بفرحى بمبايعة رخ المرتقبة بالعرش وطلبت منها أن تسند إلي منصب الوزارة في دولته الجديدة . فرحت وسعدت . حققت هدفها . العرش لرخ . وحـــور لها !!

رخ

3

ترصدت لحور عند خروجه من بيت صديقته . خرج . أردت قتله . فشلت . لم أقدر !! بكيت . عاجز عن فعل أى شئ . لولا حبى لها لقتلتها . حبى يعجزنى .

4

- وضع الأرض كلها تحت نعليك .
- لا أريد .. أرفض يا أمى .
- ماذا تريد إذن ؟ !
- أريد أمى ... أريد نفسى .. أن أبحث عن نفسى ... نفسى أين أنت ؟
- هش أنت يا رخ ... مجنون !
- أماه !
- أصمت . ولا كلمة . كله من أجلك أنت .

عنخ

4

الأضواء تنتشر في الممرات الطويلة المؤدية إلي حجرتها . الحجرة مظلمة . تحسست خنجرى . وجدته في جرابه . سوف يعمل عمله الليلة . وسوف يصعد إلي السماء وينهى الشعرة الرفيعة بين الوجود والعدم . سمعت صوتها :

- عنخ .
- أين أنت ؟
- تقدم .
- آه .. آه .. غير معقول !!

ســـــيا

1

مالي لا أرى عنخ ؟ ! سألنى عنه شن ورن . يبحثان عنه دون جدوى . أين ذهب ؟ أختفي ؟ ! بعد يومين عثر علي جثة عنخ في النهر !! حزنت عليه كثيراً .

****

أوصياء عليك يا رب الوصاية !!

لا تتركنى وحدى ، أواجه هذا الطوفان الجاحد . لا تتركنى . يبحثون عن أنفسهم . موجود في كل الوجود . تسكن قلوب الصادقين من عشاقك وتهبهم الدفء والحب وحلاوة الإيمان .

****

في العين دمعة .

وفي العين لوعة .

وفي النفس حرقة .

أنقذنى . فالخلاص بيدك ، وحدك ، وحدك ، دون سواك . المل فيك كبير . معلق عليك منذ كان في طور التخيل والتخلق .

****

الحياة في حلوها ومرها صنع يدك .

السخط والرضى فضاء ما بين إصبعك .

الحرية والعبودية شعاع عينيك .

الوجود والعدم هية كلمة من ثغرك .

جاءنى صوت في المنام : لا تقلق .. أنى معك أسمع وأرى .

حـــور

3

أعدت قاعة التتويج وحفلت بكل ما هو ثمين . الحراس يحيطون بالمكان من كل جانب . صفت المقاعد بطريقة تسمح بالتحكم في القاعة . تقدم الكاهن الأكبر إلي منصة التتويج .

رخ سعيد .

رخت تكاد تطير من الفرحة .. ها هو الأمل يضيع من بين يديك !! تنظر إلي بين لحظة وأخرى مبتسمة وتربت علي ركبتى . بدأ الكاهن الأكبر تلاوة أوراقه .. وأعلن في ختام كلمته :

آمون مسئول بالطبع عما فعله خنوم في سالف الزامن وعليه أن يسدد دينه ويصوب أخطاءه . آمون الذي يصلح ؟ ! ألم يره الناس أعلي البلاد مع العبدة النوبية التى كان يشتهيها ؟ ! أكمل يا صاحب القداسة أكمل .

لقد أصبحت السيدة الفاضلة رخت نائبة لآمون في البلاد .. تصلح وتصوب ما قد فسد .. وتجدد ما قد تحطم .. ليعود الحق إلي أصحابه بعد طول غياب ..

السيدات والسادة ..

لا أخفي عليكم سراً ، إذ أن السيدة الفاضلة رخت تنازلت لإبنها رخ العظيم بمحض إرادتها وفي تمام رغبتها عن نيابة آمون ومن ثم العرش .. عطاء كبير بلا شك .. نادر المثال في هذا الزمان . العرش لرخ !! والكاهن الأكبر يسيطر علي الغلام !! ورخت تسيطر عليك !! وتسير تأكل الميتة مع الذئاب وكلاب الصحارى .. أكمل يا صاحب الحقارة أكمل .

السيدات والسادة ..

لقد تم إختيار رخ حاكماً للبلاد .. وسيداً للعالمين حتى يعود للبلاد عصرها الذهبى وتنعم بالأمن والرخاء .. فلتتقدم يا رخ .. عفواً ... يا سيدى رخ العظيم . تصفيق حاد من جموع الحاضرين .. وفرحة عارمة تسيطر علي المكان .. يتقدم رخ مبتسماً في كامل هيئته الملكية .. لا ينقصه سوى التاج .. يتقدم نحو المنصة .. يصعد إليها .. يضع الكاهن الكبر التاج فوق رأسه ويقول :

ها هو خنوم يعود ليحكم من جديد العالم بعد طول إختفاء ممثلاً في إبنه رخ .. أقصد صاحب الجلالة الملك رخ العظيم ..

إقتربت من المنصة متظاهراً بمصافحة رخ .. فتح رخ ذراعيه متقبلاً التهنئة منى .. وفي غفلة من الحراس وفي سرعة الرق إستللت خنجرى المسموم وطعنت رخ طعنات نافذة في قلبه .

سقط في الأرض مغشياً عليه . وقفت القاعة .

شهقت رخت . وهرعت إليه تحتضنه . حاولت الهرب . طعنة رمح من أحد الحراس أعاقت طريق النجاة ..

ســـيا

2

ما أفظع القتل !

أهكذا تنتهى الأحلام في لحظة واحدة ، تمتد من بداية العمر إلي نهايته ، عبر سلسلة من التجليات والأمنيات ينتظمها شريط من الإخفاقات ؟ !

لا أكاد أصدق !

كيف يحدث هذا وفي لحظة واحدة ؟ ! رغم قصر عمر من هذه اللحظة وطول العمر ، هى الوحيدة الصادقة فيه ، الحقيقة الوحيدة المفضية إلي ظلال الأبدية .

****

سقط حور علي الأرض . نظرن إليه رخت وهى تحتضن إبنها القتيل رخ . ضحكت بجنون . إنخرطت في موجه بكاء حاد . تبكى الإبن أم العشيق أم كليهما ؟ !

****

أيقتل في يوم عيده !! في عز مجده !! في يوم تتويجه !!

****

تقدم الكاهن الأكبر من رخت مواسيا :

- عزائى الخالص للأم الرؤوم مع تمنياتى لها بالصبر والسلوان .

.1

المنتهى منف

ســـيا

1

رحماك !!

قتلت رخت !!

خرجت تزور قبر ولدها . لأول مرة منذ مشهد القتل الدامى . تسللت نفرت ، صديقة حــور ، لمصافحتها . وقدمت لها العزاء قائلة :

- العزاء لأم الفقيد العظيم .

تقبلت رخت العزاء . وهى تستدير كانت طعنة من يد نفرت القوية تشق ظهر رخت إلي نصفين . إنتقمت لحبيبها حــور .

2

قررت الرحيل عن طيبة ونسيان هذه الرحلة القاتلة . صدرى لا يحتمل . أخذت مركباً غير مركب الراحل عنخ حتى لا أتذكر شيئاً مما مضى .رحلة مؤلمة بكل ما تحتمله الكلمة من معنى .

3

يعود الفيضان ثانية بأمله وألمه وضجره .

4

المركب في حركة هادرة ، تهبط إلي الشمال ، سعيدة بذهابها منف العظيمة لا يتفوق في قلبى سواها .

5

موجودة في كل لمسة ، في كل خفقة ، في كل نفثة من نفثات سحب السماء البيضاء ، رآه ، حقيقة ، إسمع صوته الهامس الشجى كالموسيقى العذبة ، أحس به يربت علي كتفي ويحنو ويأخذنى برفق إلي قدس أقداسه ، إلي ذاته ، بعيداً عن هذا العالم المضجر ، إليه يتوجه شوقى ، وترتفع أدعياتى ، وتترنم أغنياتى ، إليه تصفو نفسى وتروق ذاتى ، هو الحب ، إليه يتوجه ، ومنه إلي باقى البشر .

6

منف

وصلت منف وقت السحر والفجر يوشك علي البزوغ .

7
منف

وهج الذكرى الغارقة في نبع الحلم ، مرمى البصر الحالم بالعشق دوما ، ونور القلب المضئ ظلام الطريق .

8
منف

تطلين علي النهر في منظر شاعرى يصعب علي الذاكرة نسيانه ، خصوصاً ، مع بدء المساء وتدفق نسمات الشمال المنعشة .

إلي جوارك تختفي كل الموجودات الأخرى .

.1
إنك تتألقين .
.....

ما قبل النهاية

أين خنون ؟ !
أين هو حقاً ؟ !

لماذا لا يظهر وينقذ العالم قبل الدمار ؟ قبل الفناء ؟
أين أنت يا خنوم الآن ؟
أين أنت ؟

لم يعد الصمت يجدى ونفذ الصبر .

بحق الوجد أين أنت ؟ قلبى يتوق شوقا لرؤيتك .

يدخل حسين عبد البصير إلي جوهر الوجود الإنساني في مصر منذ القدم ، مزوداً بموهبة روائية فريدة ، ورؤية عميقة مصدرها تخصصه وثقافته كأثري ، وكعاشق لمفردات الحضارة المصرية .غير أنه ينطلق إلي أفق روائي رحب يعبر من خلاله عن الإنسان في جوهره ، وبالتالي يتجاوز حدود الزمان والمكان .هكذا تعكس الرواية روحاً جديدة مغايرة علي مستوي السرد الخاص جداً ، والشكل الذي يحاكي تلك النصب والهياكل الشاخصة التي تشير إلي الآتي الأبدي ، بينما تغوص بعيداً في الأزل القديم .إنها الرواية عندما تعبر عن الجوهر الإنساني الحي بآماله وأشواقه إلي الخلاص .

جمال الغيطاني

يجوس حسين عبد البصير في روايته المهمة " البحث عن خنوم " أرضاً جديدة للكتابة الروائية ، تتأسس عبر خلق نص روائي جديد يعيد إنتاج التاريخ الفرعوني عبر مخيلة إبداعية تطرح سؤالها حول المصير الإنساني ، وتسعى نحو تأكيد قيم العدل والحرية من خلال حدث ممتد في الزمان والمكان ، وكأنه النشيد المصري القديم الذي يتواصل عبر بئر الزمن : مفهوم الفنان للخلود .

سعيد الكفراوي

" البحث عن خنوم " رواية البحث عن الحقيقة التي تبدأ بالأسئلة القلقة وتنتهي كما بدأت ببحث جديد ورحلة جديدة علها تحاول الإجابة عن أسئلة الفلسفة القديمة وأسئلة التاريخ القديم بكل رمزيتها وأسطوريتها .

عزازي علي عزازي

إنها رحلة عكس اتجاه النيل ،تقدم من خلال عكسيتها تمرداً علي النمطي والسائد والمتحجر ، رحلة كونية تتدرج من البحث عن حقائق تغيب عنا ، متساقطة في رحلتنا الحياتية إلي البحث عن الذات ،وفيها، خنوم في سياقه يمثل الكثير من المثاليات المبحوث عنها ، وهو في سياقنا عودة إلي أشياء مهما تباعدت بنا الرحلة فنحن في أشد الحاجة إليها .

مصطفي الضبع